

- ١٠ عالم خفه
- ١١ تحاربت كوت الكنايا
- ١٢ شرفه في المروءة
- ١٣ اصبه قاده
- ١٤ من النما
- ١٥ لواء الزكيا
- ١٦ هذه هي درسا
- ١٧ قوة الصورة
- ١٨ اعطيت النام مع غربي
- ١٩ مستعد في الفرسية



عَمِيدُ عَائِلَةِ آلِ النَّزِيهِ

عَبْدُ الْحَيِّ رُؤَسَاءِ الزَّيْنِ

الافتراء

بالنسبة إلينا نحن أبناء عائلة آل الزين ، من الصعب أن نتصور
أن حياتنا الوطنية ستكون قصة بلا بطل .

ولقد كانت وفاة البطل ، في تلك الأيام الحزبية ، مثل غسق .

ويومها بدا لنا الغسق منورداً ، مناسباً مع الشمس وهي تترك
العيون الدامعة والوجوه المنجهمّة ، لذلك الأفق .

ومع الأشعة المنعكسة على بيت كفس رحمان ، أوحى إلينا هذا
الغسق ببطل وريث .

إلى هذا البطل لهدي هذا الكتاب .

كل فرد منه آل الزين

المحتويات

المقدمة ٩

الباب الأول

عند مفترق الطرق

الفصل الأول: عند مفترق الطرق ١٩

الفصل الثاني: من بيت إلى بيت أرضية واحدة وفضاء واحد

..... ٢٥

الفصل الثالث: من نسيج شخصية الذات ٣٧

الفصل الرابع: حارس المرمى ٤٥

الفصل الخامس: الرابطة والترابط ٥٣

الفصل السادس: الطريق الثالث ٦١

الفصل السابع: في التأطير والتأصيل ٧١

الفصل الثامن: "لو كان الفقر رجلاً لقتلته" ٩٧

الخاتمة ١٠٦

الباب الثاني

الكلمات والصور والملاحق

الفصل الأول: شهادات وتكريم..... ١٠٩

الفصل الثاني: من التاريخ..... ١٣١

مقدمة

".. ليبقى لنا التاريخ ما بقي الليل والنهار"

لم يبق إلا هو ليروي ما كانت طفولته، أو حتى ما كانه
فالذين كانوا أكبر منه سناً، مضوا ومعهم حكاياته
وأما البقية من أهله، فإنهم كانوا مثله، ينظرون إلى والدهم بأكثر مما
كانوا ينظرون إلى ذواتهم.

أما شقيقه عبد اللطيف الزين، فبصفته الوارث السياسي كان نكران
ذاته كافياً لإبعاده عما كان يحيط به إلا ما خص التزامه الأخوي من
الناحيتين: العاطفية والأسرية. وهو عندما لن يجد الوقت للكتابة عن حياته
الخاصة، فلن يكتب عن خصائص كل فرد من أفراد أسرته. كانت التركة
السياسية. وقد تسلم ملفها في وقت مبكر، وأجبرته على "المرافعة اليومية"
إزاء ما يخص الآخرين؛ أولئك الذين ارتبطوا ببيت كفر رمان وانتموا إلى
روح زعامته، التي كان عليها في صورة دائمة ومنظمة، أن ترفرف في
حياتهم، كي لا ينطفئ حق ولا ينتكس مطلب. كل هذا ومعهم هموم البيت
الكبير. الوطن وقضاياها المتشابكة.

وبالنسبة إلى شقيقه عبد الكريم الزين، فإن مشاركته في التمثيل
النيابي عن منطقة الزهراني، وقبل ذلك كونه ضابطاً في الجيش شغلاه
عن الكتابة، فعلى الرغم من ولعه بالقراءة واهتمامه العاطفي العميق

بشؤون العائلة، فاته هو الآخر أن يكتب عن نفسه، وعن بيته وإخوته، وعن تلك التجربة السياسية التي عاشها وخصوصاً منها تجربة العام ١٩٥٨ وما تلاها من تجارب أخرى كان له فيها جولات ووصلات. إذن لم يبق إلا هو ل يكتب.

ولقد كتب فعلاً، ولكنه عندما كتب فإنه لم يكتب مذكراته: لقد كان نزوعه إلى العائلة وتاريخها أقوى من نزعه الذاتية، وأقدر على مغالبة تعطشها للحبر والورق. مات ولم يعطها فرصة للارتواء.

وعلى الأساس هذا، سوف يعلن الظمأ للمعلومات صرخته، ولربما أيضاً وجعه من فرط إهمال الرابطة نفسها للتدوين المبكر حول ما يتصل بسيرة حياته الذاتية، وحتى العامة، تدويناً وثائقياً يغطي ما أثر هو على تركه للأيام.

.. ولكن الأيام مثل أمواج البحر لا تنتظر أحداً.

إذن ما العمل؟ ما العمل، وجملة البيئات "الشخصانية" لم يجر الإفصاح عن مكنوناتها، إلا باستعمال مفاتيحها داخل عالم يخصه هو: زوجته، مزرعته، فريته التواقة للتمسك بشيء ما حتى في اللحظات التي كان يرى فيها هذا الشيء الغامض، وهو يتبدد أمامه ويتلاشى؟

ما العمل ومشاعره كان من الصعب الإحاطة بها واحتضانها بدون سبر أغوار رموزها الأكثر ملموسية؟

ما العمل ولم نستعد في حياته، الغنى الروحي الذي اتصفت به أبوته، وإلى إظهار حقيقة أن أبوته تلك ليست إلا الأبوة الأوسع بالنسبة إلينا جميعاً؟

ما العمل وفي عقله من تلك المشاريع التنموية التي رانت إليه، ومن هذا الوطن، أكثر مما يحلو لنا أن نعتقد.. وبدون ذلك الارتباط الحيوي العضوي، مع ما كان في عقله، إزاء المستقبل؟ مع المنبع الأول لطاقته وتغاوله العفويين؟

ما العمل وقد راهن بطاقته على إرادة العطاء وعلى قدرته على تحقيق تلك الإرادة في حياة كل منا؟

هل يجعلنا موته، أكثر من أي شيء آخر، راغبين في أن نعيد بطاقتنا إلى العائلة: أن نستقيل من العطاء؟ كلا.. لن نفعل.

يقول إيفان كارامازوف: إن "موت بذرة" قد يجعله راغباً في أن يعيد بطاقته إلى الكون (في أن يستقيل من الحياة) لكنه لم يفعل، بل استمر دائماً على القتال والحب. استمر دائماً على الاستمرار.

ثمة رجال لديهم من التجارب والأفعال، في المكان والزمان، مع ذاتهم والآخرين، مع الحياة وحركتها، مع فكرة عن الموقع والدور لا يتقاسمها الناس جميعاً في ذات المستوى والنوعية.

هذه الكتلة من التجارب والأفعال، من المشاعر والأفكار، هي التي ستكون هذا الكتاب.

إن الناس الذين وجدوا أنفسهم في علاقة مع عبد المجيد الزين مؤهلون لأن يحسوا بأنهم أول - وربما الوحيدون - من يستطيع أن يكون مصدراً موثقاً للتوصيف والتقييم.

وهذا الإحساس أوضح عن نفسه منذ أول اتصال معهم: ولذا فإن بهذا الكتاب ما ينطوي على توصيفهم وتقييمهم.

كذلك، إن عدداً من الناس كانوا أوفياء وبالدرجة إياها في إحياء
الذكرة إزاء ما له صلة بحياة الفقيد. وبالرغم من أنهم جميعاً رأوا عميد
X الرابطة بصفته قائداً مارس تأثيره الإيجابي على حياتهم، فإن الكتاب
اكتفى بضبط إيقاع وجدانياتهم - من دون ذكر أسماء - على ما ينطوي
عليه البعد الإنساني في شخصية الراحل، الذي بقي يمثلهم في سبيل
تحويل عالمهم، وجعله عالماً مؤهلاً للاتصاف الكامل بالشعور الوطني
بدلاً من أن يكون مصاباً باليأس إزاء الأعماق السحيقة للعبثية التي أفضت
إليها ممارسات ومغامرات صبغت حياة الوطن بالإحباط.

أيضاً: كانت حياة عبد المجيد قد تغذت بمنابع كثيرة:

- من تاريخ لقرون من الزمن، تمتد من أيام الدعوة الإسلامية وحتى
يومنا هذا.
- من محطات "زينية تاريخية" خصّبت مفهوم البطولة، وعمقت مضمونه
عن الصراع وعن موقعه ودوره المعنوي والمادي فيه.
- من نتاج فكري - ثقافي حول المعرفة إلى وظيفة وطنية - قومية -
إنسانية.
- من أدوار لرجال العمام في العائلة كثفت سرعة وتيرة الانخراط في
معارك المقاومة والتحرير بدءاً بحروب الرسول (صلعم) مروراً
بحروب صلاح الدين إلى الحرب ضد أحمد باشا الجزائر وبعدها مع
الطغيان العثماني برمته ومع أي طغيان استعماري آخر، ومن ثم إلى
الحرب من أجل استقلال الدولة، وبعدها إلى الحرب ضد التخلف
والحرمان والظلم في دولة الاستقلال، وأخيراً.. الحرب ضد الصهاينة
واحتلالهم أرض الجنوب في لبنان.

- من انفتاح ديني - سياسي ولد أشكالاً جديدة من العلاقات المنسقة مع كل الطوائف.
 - من ثبات على مبادئ وقيم مستندة إلى كتب الله السماوية، وإلى تراث عربي - إسلامي، ازداد نمواً وباضطراد، على يد عدد من المؤلفين والمؤرخين من العائلة.
 - من كتب للمطالعة غالباً ما كان يتمدد تحت النير النبيل لأفكارها.
 - من مجلة "العرفان" - على وجه الخصوص - حيث استبقت وضوح الرؤية في تفكيره، حول البعد القومي في المسألة اللبنانية، وحول الدور البطولي الذي مارسه أكثر من شيخ من شيوخ العائلة في العراق، وحول الكثير من قضايا الفقه والاجتهاد. وتكاد العرفان أن تكون "مرجعيتهم المركزية" في الكثير من المسائل التاريخية والفكرية والعائلية.
 - من تراث بيوت العائلة، من بيتها في شحور إلى بيتها في كفر رمان.
 - من والده يوسف بك الزين، حيث كاد أن يمتص أطيافه المعنوية والسياسية حتى النخاع.
 - من مدارسه الثلاث، مدرسة دير مشموشة ومدرسة الحكمة والمدرسة الحربية.
 - من كل ما مر على لبنان، من الناس والحياة على حد سواء.
 - من ذاته التي كان يصالحها بين التجربة وأخرى.
- .. وفي كل هذا كان القرآن الكريم شريعته، ومحور حياته من أولها إلى آخرها.

٢
إن كتاباً عن حياة عبد المجيد الزين (كما تبدو الرابطة محاولة) هو كتابان في كتاب واحد. بل هو "سجلان يتقاطعان" في مسار واحد:

مسار عائلة اندفع في التاريخ، حتى وصل إلى ما هو عليه، وما هو عليه ليس إلا محطة أملت ظروف وفاة الفقيد الوقوف عندها، لا بصفتها كحالة حزن - وهي حالة نظراً لإيمان الفقيد نفسه بحكمة الله وبحكمة أن لا نحمّلها أكثر مما تحتمل - وإنما كحالة للمراجعة والتأمل تكثيفاً للمعاني الكبرى التي جسدها في حياته، وتزخيماً للمسار ذاته، بلا انقطاع، وبلا تضاريس.

٣
وكان هذا على أية حال واحداً من الأسباب النوعية التي استولدت في أعماقه نزعته العائلية التي لم تمارها العين قط.

مسار فرد تفرع من منابت جذور العائلة ليلعب دوره في ذلك التاريخ، حتى أوصل رابطتها إلى ما هي عليه من اعتراف حظيت به من المنبعين المركزيين للثقة والإجماع: الإيمان والأمانة. وإن ما ينتمي إلى الأمانة يعود إلى أجداده من الأنصار والخزرج، وهم من بايع النبي (صلعم) في مكة، ثم حضنوه وناصروا الدعوة إلى دين الله في المدينة المنورة وكانت هذه المبايعة واحدة من الأسباب التي جعلت من الإيمان أمانة ومن حاملها أمناء لقول الرسول في نسبهم:

"فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار".

الأنصار شعراء، والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار".

هذا وإن التاريخ الخاص للقادة ينظر له غالباً وكأنه "صعود ملحمي

نحو الأسطورة"، وهذه مبالغة ليست مبررة على الإطلاق.

ولكن؟

في كتابه عن "حياة الصورة وموتها" يبدأ ريجيس دوبريه "بقصة أسطورية" تقول:

إن أحد أباطرة الصين، طلب من رسام بلاطه أن يزيل صورة الشلال الذي رسمه على جدار قصره. ولما سأله الرسام: ولكن لماذا يا سيدي الإمبراطور؟

كان جوابه: لأن هدير الماء يمنعني من النوم!

وإذا ما كان للصورة هذه القوة، وإذا ما كان لها هذه القدرة على "خلق الحياة" حولها، وعلى إدراكها والإحساس بها، فكيف الحال مع إنسان يقيم في بؤبؤات عيوننا، وفي قلوبنا، بل وفي عقولنا بالذات؟ إنه حينئذ لن يمنعنا من النوم فقط، وإنما سيمنحنا يقظة لن تتمكن من إخمادها ألف أسطورة وأسطورة! وفي النهاية، فإن "الإنسان هو الحي الوحيد الذي يسكنه الأموات"؟!... وإلا فما معنى التاريخ، وما معنى الذاكرة، وما معنى الاستمرار؟

وهكذا فإن كتابنا عن عبد المجيد الزين يتخذ مكانه وسط هذه المعاني. وبكل تواضع لقد وصل إلى صيغته بقوة الإيمان، ولسوف ينمو بقوة الأمانة.

ووحدها الأمانة لها أولاد وأحفاد.

رابطة آل الزين

البَابُ الْأَوَّلُ

عَنْدَ مَفْتَرَةِ الْأَلْطَرُجِ

ونحن معشر آل الزين موثقنا	في ساحة الحق عهد ليس ينقطع
فنحن من أمة عزت بخالقها	وبالنبى أجلي نورها الورع
ونحن لا ريب ألفينا أمتنا	في سؤدد الأمس في الأنصار برعوا
في نصرة الدين وانقادوا لشرعته	وفي الركوع لغير الله ما ركعوا

الشاعر: بشار كامل الزين

الفصل الأول

عن فترة الطفولة

في "ساعة الصفر" فجر يوم التاسع من شهر أيار ١٧٩٨ أصدر الكابتن كازابيانكا، الذي كان يقود بارجة أمير البحر الفرنسية "لوريان" - الشرق أوامره إلى سفن الأسطول التي تجمعت في ميناء طولون للإقلاع في مهمة سرية إلى مصر وسوريا.

وكان يومها مشهداً يحبس الأنفاس.

كان مشاهدوه من البر - يقول نقولا الترك - لا ينظرون بحراً، بل سماء ومراكب، فوقع عليهم خوف عظيم ووهم جسيم، شيء لا يقدر.

"فوليه دبوزيين" وهو سكرتير نابليون الخاص، كتب يقول في مذكراته: إن بونابرت حين رحل إلى مصر كانت تملأ جنبه أطماع جديرة بالإسكندر الأكبر.

وقد نقل عنه قوله: ليست أوروبا سوى تل صغير حقير. كل شيء هنا يبلى مع الزمن. لقد انقضى ما كسبت من مجد، وأوروبا الصغيرة هذه لا تتيج مجالاً كافياً للأمجاد. فلا بد إذن من الذهاب إلى الشرق، لأن كل مجد عظيم لم يظفر به أصحابه إلا في الشرق.

وإلى الشرق كان هناك دائماً هاجسٌ رافقه في جميع أطوار حياته،

حتى وهو في منفاه في جزيرة سانت هيلانة، إنه هاجس فتح الهند.

والحال أنه بعد أن تمكن من احتلال مصر، بدأ يفكر بالزحف على بلاد الشام، وكانت يومها تتكون من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وفي الوقت نفسه كانت مقسمة إلى خمس ولايات عثمانية هي: حلب ودمشق وطرابلس وعكا والقدس.

وهو هنا ما كان ليبدل على أسطوره النابليونية بإضافة بعض الأحلام التي ما فتئ يستغرق فيها.

قال لضابط أركانه: "لو استطعت الاستيلاء على عكا للبت عمامة ولجعلت جنودي يرتدون السراويل الفضفاضة، ولما عرضتهم لخوض المعارك إلا في الضرورة القصوى. ولجعلتهم فيلقاً مقدساً، جندي الخالدين، ولأنهيت الحرب مع الترك بجند من العرب واليونان والأرمن... ولنصبت نفسي إمبراطوراً على الشرق...". ثم يعود ويعلن في تأريخه للحملة السورية أن "هدفي الأول من غزو سوريا هو هزيمة الجزائر... ثم ترك ما يبقى للظروف".

وهزيمة الجزائر في الواقع كانت ستمكنه من الاستيلاء على غزة ويافا وعكا، وبالتالي من حرمان الأسطول الإنكليزي الذي كان يجوب البحر المتوسط - لأطماع خاصة في هذا المجال - إنكلترا - من قواعد تموينه من كل بلاد الشام.

ولكن كان عليه - كما أضاف هو - أن يهزم أعداء كثيرين: الصحراء، والأهالي، والروس، والترك، وحتى الإنكليز أنفسهم.

و.. ومعهم الطاعون!

ها هما وجهاً لوجه: نابليون والجزار

وإن شئنا، فرنسا وبريطانيا وبينهما تركيا القرن التاسع عشر وهي تنوء في رُحى التآكل التدريجي الذي أصابها كمرض الجذام.

بريطانيا وفرنسا كانتا قد دخلتا في صراع إمبراطوري متأجج ودام أحياناً، قد "خلت لهما الساحة الاستعمارية بعد أن جرى حصر أو تحجيم قوى سبقت إلى البحار والقارات البعيدة ترفع عليها أعلامها، مقدمة لإخضاع شعوبها ونزع ثرواتها".

الأول وهو نابليون بعد احتلاله مدينة يافا وقد انضم الطاعون إلى أفراد جيشه (!)

وأما الثاني فهو الجزار بعد تحصنه خلف أسوار عكا وقد انضم إليه الكابتن سميث الذي عينه اللورد سبنسر قائداً لسفينة "تيجر" ذات المدافع الثمانين لينعش على الفور "روح الجزار المقاتلة".

وإذا كان من خصال الأول ما يعرف بطبيعة "أوسكار وايلد" في عدم مقاومته للمغريات، فإن الثاني كان من خصاله عجزه عن مقاومة اندفاعه للانغماس في الدم.

كذلك فإن الأول الآتي "صيته" من الفتوحات العسكرية وتلك الانتصارات التي حققها في إيطاليا، قد مال في المبادئ والعلم إلى "التبشير المسلح". ولكن الثاني الآتي من "البوسنة" بعد جريمة قتل اقترفها وهو ما زال بعد صبيهاً، فإنه مال إلى تاجر رق ليبيعه نفسه، إذ اشتراه في الأستانة "علي بك الكبير" الذي كان يسير حثيثاً إلى منصب الحاكم الفعلي لمصر، والذي سيجد في الجزار ذلك "الفأس" الذي راح يقطع لحم أخصامه.

وأخيراً كان نابليون بونابرت قد أخذ يفكر باستمالة الطوائف التي فتك بها الجزار في لبنان أملاً بالإمساك بمعاناتها من أجل تمردها على جلادها، في حين كان أحمد باشا الجزار يمعن في ظلمه واستبداده وكما كتب المواطن - بيروس "الذي لم يكن عاشقاً أعمى لبونابرت"، فإن جميع من هم في بلاد الشام يبغضون الجزار.. فما من عذاب لم يوقعه بمسيحيي سوريا ومسلميها على السواء، وقد أمر بجذع أنوف البعض وصلم آذان البعض الآخر، وأمر بسمل عيون نفر منهم وتشويه نفر آخر أو حذوهم كالخيل".

وبالنسبة إلى جنوب لبنان، فإن الجزار قد زرع الرعب والخوف في نفوس الأهالي، وفرض عليهم الجزية وكان يعمل فيهم السيف بين الحين والحين. فثار عليه زعماء البلاد من آل الزين وآل الناصيف وآل شكر وتصدوا له وحاولوا ردعه فلم يرتدع واستمر بعدائه وتعدياته وشراسته حتى ألجأهم ظلمه وتعسفه إلى مقاومته والانتصار في "سهل الناصرة" الذي انتهى عنده ماضي "نابليون العجيب".

وهكذا عاد الجزار إلى جبل عامل ليثأر.

جنود من الأكراد والأتراك والجركس، انقلبوا وحوشاً ضارية، زاعقة، يطعنون بمداهم الشيوخ والفتيات والرضع، ويهتكون الأعراض وكان هياجهم يتضاعف كلما سمعوا صرخات ألم لتستمر نوبة العنف والجنون أربعاً وعشرين ساعة.

كل هذا حدث في المدن والقرى الجنوبية.

ولكن ليس كل شاهد عيان للمذابح سيقبل برؤية محايدة!

كان الجزار قد انتهى لتوه من استباحة مدينة صور - وبعد إحراق مكنتاتها العريقة ولّى وجهه شطر قرية (شحور) ليثأر من عائلة "غير الله ما ركعت"! غير أن الشيخ علي الزين بن زين العابدين سيذهب إلى ملاقاته على رأس جيش قدر يومها بألف مقاتل.

هنا في محلة "صدر القتلى" دارت معارك طاحنة بين الجيشين ولم تمض ساعات حتى اصطبغت الأرض بدماء الشهداء.. ومع أن الشيخ علي الزين لم يخامرهُ أي شك في اختلال ميزان القوى بين جيشه وجيش الجزار، إلا أنه أثر المواجهة على الاستسلام.

ولعل تاريخ آل الزين كله تعلق بخيط كهذا الخيط.

والشاهد أن الغلبة كانت للغزاة، ولكن الشيخ علي الزين تمكن أخيراً من الوصول إلى الشام فيما دخل الجزار شحور وأحرق ما فيها من كتب، ثم راح ينكل بمن بقي فيها فهاجر الأحياء منهم أو لجأوا إلى القرى الجنوبية والبقاعية.

واليوم، تشكل قرى كثيرة في الجنوب والبقاع، وفي الشمال وجبل لبنان، خريطة الانتشار الاجتماعي لعائلات آل الزين، كما تشكل مواقع كثيرة في الدولة وخارجها "قواعد الاستناد" التي تنطلق منها كوادر العائلة وفاعلياتها لممارسة أدوارها الوطنية في دروب الأدوار السياسية والفكرية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية كافة.

ولكن قبل أي شيء آخر، ستشكل تلك الأماكن والأدوار الإطار الذي من نقطته المركزية سترتسم الدوائر وتتسع لتستقر منتظمة ومؤسسة في رابطة آل الزين.

والرابطة هذه سيكون عبد المجيد الزين عميدها وسيعطيها من عمره

ما لا يقل عن نصف قرن.

أما ما قبل ذلك، فإن الربع الأول من حياته كان ما زال في روابط أخرى ومنها على وجه التحديد "الرابطة الأسرية" التي أسسها بيت كفر رمان.

الفصل الثاني

من بيت إلى بيت أرضية واحة وفضاء واحة

كل بيوت آل الزين "المرجعية" هي بيوت مطبوعة "بشخصية" زمانها، وفيها على هذا المستوى أو ذاك شيء من "عبقرية المكان".

وفي تاريخ هذه البيوت هناك نكهتان لهما مذاق خاص:

- نكهة نجفية تحمل في طياتها تلك الأطياف من عادات وتقاليد وطرز حياة اتسمت بها ذاتية الشيعة في خصائصها الاجتماعية المميزة.. ولا تزال هذه النكهة تتردد أصداؤها حتى الآن.

- ونكهة مكتبية - إن جاز التعبير - تعكس عملية الغوص الذهني في محاولة لتلمس أعماق التاريخ والتعرف إلى ما في قعره من مخطوطات وكتب وأفكار هذه الكتب واتجاهاتها.

وهذه البيوت ذاتها لم تكن مجرد مواقع في قرى، ولا حركة داخل مرحلة زمنية سرعان ما تدخل في القطيعة مع المرحلة التي تليها، وإنما كانت راسخة هي ومراسيها الفكرية والدينية.

بعضها كبر على مكانه وموضعه، بعضها الآخر ربما ضاقت عليه مساحة السكن ولكن حركته الدينية والسياسية لم تتحبس بل بالعكس، امتدت حتى إلى ما وراء حدود لبنان: إلى سورية والعراق وإيران. وكان فعلها في الزمن القومي أقوى من الانحسار في المكان الوطني على

عبقريته وضرورته في حيوية التكنيف والتأثير. وبعضها الثالث ربما "غيم ضياؤه ولفه الضباب" إلا أنه بقوة النور التاريخي الذي لعبه ما زالت أطرافه تنطلق بشيء شهد في الماضي أفعالاً ومواقف. ولذا لم يخمد ولم تبطل الأطلال سره وسحره.

إن "بيت كفر رمان" ليس ظاهرة وحيدة بين هذه البيوت، بل هو يكملها في بعده السياسي المعاصر.

ولا هو خارج "سكة القطار" وإنما بالعكس سيربط المتقاطرات ويقودها في الزمن الحديث ليتابع وإياها الرحلة على قاعدة: كل في موقعه، وكل في دوره.

وهذا البيت الآتي من قريب، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت له قصة ليست من دون فصول.

• كان الفصل الأول^(١) من القصة هو المنحى الذي اتخذه الشيخ علي الزين بعد معركته مع الجزار والتي اقتضت أن يذهب إلى سوريا لينتقل من بعدها إلى العراق، ثم إيران، وليستقر في بلاد الهند.. وفي مملكة من ممالكها سيعجب بحضوره وعنفوانه وسعة اطلاعه وبطولته ملكها ويزوجه ابنته.

أكثر من ذلك، سوف يخلف الملك بعد وفاته ويصبح هو ملكاً لعشرين سنة، كان فصلها الختامي بحرب استمرت سنتين مع الجيش الإنكليزي الذي أراد أن يحتل أراضي الهند كلها.

(١) لمستزيد: العودة إلى الباب الخاص بـ الملاحق، إذ توجد تفاصيل لها علاقة مع الفصول المذكورة من القصة المروية.

وبسبب من اختلال ميزان القوى بينه وبين هذا الخصم الإمبراطوري، لم يتمكن من رده مما اضطر إلى الانسحاب ليعود إلى بلده شحور.

• كان الفصل الثاني من القصة يلي وفاة الشيخ علي الزين ١٨٣٨. انتقل ابنه البكر الحاج سليمان الزين من شحور إلى صيدا ليعمل في الحقل التجاري. وفي الواقع، لم يمض عليه وقت طويل حتى بات من أكبر تجار المدينة، ومن أكثرهم التزاماً بعمل الخير. ومن موقعه هذا تمكن الحاج سليمان من إقامة علاقة مميزة مع فؤاد باشا الذي كان يشغل مركز المندوب الأساسي للصدر الأعظم وهذا فضلاً عن علاقته مع الأسر النافذة في جبل عامل.

• في الفصل الثالث من القصة أن الحاج سليمان توفاه الله في العام ١٨٧٢ وكان قد أنجب أربعة أولاد كان من بينهم الحاج إسماعيل الزين (١٨٥٤ - ١٩٠٩) والذي سيجني أموالاً طائلة من عمله في التجارة التي ستمكنه من شراء عدة قرى في جبل عامل كان من بينها كفر رمان.

غير أن الحاج إسماعيل بسبب من الحسد والغيرة الناشئين من المتضررين من انتشار نفوذه وزعامته، تعرض لمحاولتي اغتيال متتاليتين، نجا من إحداهما، بينما في الثانية أصيب وهو في مدينة بيروت برصاصة أصابت منه مقتلاً.

وفي السابع من ربيع الأول سنة ١٣٢٧ هجرية الموافق ٢٩ آذار ١٩٠٩ شيع جثمانه إلى مثواه الأخير.

ومن المفارقات أن السنة التي استشهد فيها الحاج إسماعيل، كانت

هي السنة التي صدر فيها العدد الأول من مجلة "العرفان" في صيدا والتي كان مؤسسها وصاحب امتيازها الشيخ أحمد عارف الزين والده الحاج علي الزين الشهير أخو الحاج إسماعيل، وبلدته شحور المنبت الأساسي للعائلة وفروعها.

• الفصل الرابع والأخير من القصة هو حكاية الطفل الثالث للحاج إسماعيل الزين والمولود في ربيع العام ١٨٧٦. وهو الذي سيرث كفر رمان وسيبني فيها بيتاً لم ينقطع فعله السياسي حتى يومنا هذا: إنه بيت كفر رمان.

وإلى هذا البيت ينتمي المرحوم عبد المجيد الزين.

وإليه سيعود جثمانه بعد رحلة بدأت من العام ١٩٢٥ وكانت محطاتها الأخيرة في العام ٢٠٠٢.

وما بين الولادة والوفاة حكاية عمر، كانت، بالنسبة إلى عائلة آل الزين حكاية استقطاب لتاريخها ولسمعتها على مر هذا التاريخ، مرة واحدة ودفعة واحدة.

ولكنها قبل أي شيء حكاية ابن زعيم سياسي كان الفاعل الأساسي في تأسيس النقطة الاستقطابية، قبل أن تبدأ دوائرها في التحرك والانتساع.

إن يوسف بك الزين هو المؤسس لبيت كفر رمان، ولكنه هو أيضاً الأب الروحي للهوية السياسية التي تطبع مواقع آل الزين وأدوارهم بطابع القرن العشرين ذاته. فإذا كانت العمائم قد طبعت العائلة بطابع اتجاهاتها ونضالاتها وأفكارها في القرن التاسع عشر، وإذا كان الشيخ أحمد عارف الزين قد رفع الدور العائلي إلى مصاف قومي — فكري كان له تأثيره في

ية والأدبية والنضالية الكبرى وعلى طول المسافة الممتدة
الماضي حتى العقد الأول من منتصفه الثاني، فإن يوسف
هو الذي سيطلق مسار العائلة الوطني في المرحلتين
حلة استقلال الدولة ومرحلة بناء دولة الاستقلال.

الأحوال، فإن القادة أصحاب المبادرات التاريخية العظمى
المرتكزات التي استند إليها كل أفراد العائلة لكي يتصفوا
به من سمعة إسلامية وعربية ولبنانية: سمعة ليست بلا
ب موضوعية تعود في الدرجة الأولى إلى منابت الجذور
ها في ملاحم الجهاد من أجل الدعوة والحرية والكرامة.

خص عبد المجيد الزين، فإن هاجس الحفر في أعماق تلك
ما طالما كان تفاعل وتطور في داخله.

اغ كتيّبه عن تاريخ العائلة فإنه فعل ذلك من أجل إحداث
صحاب الاختصاص من التوغل في دراسة الظاهرة هذه:
ة بتاريخ مضيء ومليء بالتهنئة الذاتية لعدم انغلاقه على
من العصبية والنرجسية، ولارتباطه العضوي في المنبعين
الإسلامي: الفضيلة والتسامح. وفي التسامح: ما عدا الكفر
داد. وفي الفضيلة: إثارته للفاعل الأساسي في بنية العائلة
إيثار والتضحية.

١٩٠ كان الحاج إسماعيل الزين قد عاش خمساً وخمسين
ليتذكر الأيام التي كان الـ "بك" يخرج فيها للعمل، ذلك
يدر أرباحاً أشبه بالعائدات النفطية في زماننا هذا.

ات العشر التي تلت استشهاده، وبقيادة شاب متعلم هو ابنه

الثالث، أخذت الأنشطة التجارية تخلي مكانها لنوع جديد من النشاط السياسي. إن يوسف بك الزين الذي اصطفاه والده ليكون إلى جانبه سيولي وجه اهتماماته شطر العمل السياسي.

وهذا الاهتمام لن تعوزه خمائر الصعود والزعامة. كانت خميرته الأولى في الإرث المعنوي الذي تركه أجداده وأهله وأبناء عمومته.

وكانت الثانية في القوة المالية التي بدت صلبة كالهرم والذي حاول البعض أن يهدمه فلم يكدر يخطئه.

وكانت الثالثة حينما ظهر كشاب طموح أنه غير قابل للفساد وأنه من أكثر المتحمسين لتحقيق العدالة.

ثم كانت هناك أعماله الخيرية والإنسانية ورؤيته الحكيمة في سنوات الحرب العالمية الأولى أن "يرعى النبات الذي يمكنه أن ينمو في وقاء من الريح".

وكانت الريح عاتية فعلاً.

في تلك الأيام بدا مؤكداً أن لبنان قد وجد نفسه على طريق الكبار: بؤرة صراع بين أباطرة وخصوصاً بين الإمبراطوريتين الإنكليزية والفرنسية في ظل "غفلة السلاطين عن أداء حقوق الرعية وما ينجم عن ذلك في المقابل وبالضرورة من سقوط عهود الولاء".

في سنوات الحرب ما قبل بداية القرن العشرين كانت المجاعة تزحف حثيثاً، ولم يبق أمام عدد من اللبنانيين غير البحث عن قارب للنجاة ينقلهم من الجوع إلى الاقتلاع، يومها بدا لبنان كما لو أنه في سباق إلى..

حياة أو موت.

وحين أهل القرن العشرون كان تشابك التحولات في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد أصبح أكثر تعقيداً تحت عنوان: الجديد يصارع القديم. وكانت الاستراتيجيات تزحف برفقة أساطيل تبحث عن مواقع. وأخذت حقائق لبنان ترتطم مع حقائق أخرى كانت أقوى منها وأقدر على مغالبة مناعتها.

وأمام مهابة الأخطار والحداث، وتلك الاكتشافات العلمية، فإن الكثير من التعاليم النمطية للعادات والتقاليد قد أضحي عاجزاً أمام الضغط "النازل عليه" بل بدا هذا الكثير في أسر معادلة ثنائية قاتلة: لقد وجد نفسه بين تيارات للحداث، تؤمن بتبدد الأشياء واندثارها، وبين تيار محافظ يريد أن يبقى في صموده.

كل هذا فيما كانت دولة آل عثمان تترنح وتتلاشى في قلب المتغيرات التراجيدية حيث ظهرت إشارات تومئ إلى أن تركيا قد أصيبت بـ "الجدام" (!) كانت أشبه بعربة خشبية مترنحة تفقد "مرة مصباحاً، ومرة باباً - حتى إن عجلاتها راحت تتطاير" و.. وتلك الصدوع هي التي سيدرسها أولئك الذين يريدون هدم الإمبراطورية.

جنباً إلى جنب، كانت الثورة العربية قد غدت كعاصفة في الصحراء، أزهاراً "قصيرة الأجل"، وهي "كحروب العصابات جميعها" سيستغرق ظهور مفاعيلها زمناً.

لقد استهضت المعنويات ولكنها لم تربح الحرب.

أما في لبنان، فإن الصراع فيه لم يكن ليقل حدة عن الصراع عليه،

وكان هو الآخر يختلج ويحاول أن يتلمس طريقه للخروج من حالته الكئيبة الأولى، التي وجد نفسه فيها في سنوات الاضطرابات الكبرى ١٨٤٠ - ١٨٦٠ والتي تركت في الكيان جروحاً ربما لم تلتئم حتى الساعة هذه.

وبالنسبة إلى جبل عامل، أو ما يعرف بالجزء الجنوبي من خريطة لبنان، فإنه كان على حاله من فقر مزمن، إلى فقر فتاك، ومن ظلم إلى آخر، ومن حرمان كان أشد وطأة من الظلام الذي كان ينغمس فيه مع كل غياب شمس نازفاً كما كان على مر القرون مستكيناً حيناً، ومتحركاً كما يتحرك فيه التاريخ: بطيئاً ومثقالاً بشتى أنواع الإرهاصات وهي تتجمع متراكمة في حين آخر.

آنذاك، كان الأب المؤسس لـ "بيت كفر رمان السياسي" قد شرع في صنع المفاتيح الأذنه بالدخول إلى كل الطوائف في صيغة الزعيم الممثل لموجة التعايش في إطار من الانصهار الوطني سيجد تعبيره في كل مواقفه السياسية والاجتماعية مقرونة بسعي دائب من أجل تأطيرها وتأسيسها داخل نهج سيلتزم به "البيت السياسي" التزاماً مجرداً من الالتباس والتلفيق.

والواقع أن إحدى النقاط النادرة التي يتوافق عليها راصدو الظاهرة الزينية هي كثافة هذا النهج وتمثله السياسي العائلي سواء بسواء: بانتقال الزعامة إلى ابنه عبد اللطيف الزين، شهدت ذات الجهود المبذولة لإتمام الانصهار الوطني وجعله أكثر قوة وتماسكاً مقرونة هي الأخرى بإلحاح دائب لتحقيق التوازن المجتمعي والإنمائي في بيئة الوطن التنموية والحقوقية. كذلك الأمر فإن شقيقه عبد المجيد الزين وعبد الكريم الزين

سينخرطان في ممارسة هذا النهج وفي العمل على إخصابه ضمن الدوائر الانتخابية التي نجحنا في أن يكونا ممثليها: الدائرة الثانية في بيروت الانتخابية وقضاء الزهراني في الجنوب.

وفي صورة عامة، فإن الخطوط الرئيسية للسياسة الوطنية التي اتبعتها العائلة، تجلت دائماً في التخلي المستمر عن التعصب والانغلاق وعن أي خط أو تيار أو نموذج يولد ويخضع للتأثير الخارجي. إن مثل هذه الولادات عرضت وتعرض البلد للضعف والتناثر، وكانت قد فاقمت الحساسيات الطائفية التي كما سبق وذكرنا لم تلتئم جروحها.

والحقيقة أن جذور أزمة "لبنان الطائفي" تكمن عميقاً في نثر البذور الهجينة وفي تربة جرى تحضيرها وتسويتها لتكون مهياًة في موسم التدخلات الخارجية لذلك النوع من الفتن والعنف، والذي غالباً ما كان حصاده التفسخ والتصدع.

أضف إلى ذلك أن الأداء التاريخي - السياسي للطوائف انطوى دائماً على صراع من أجل التمييز والامتياز. و.. وبتحريض أجنبي. وكان لمثل هذا الأداء ثمنه الباهظ حيث لم يستطع أحد أن يقيم بدقة الدمار المعنوي والمستقبلي الذي أصاب لبنان من جراء الرهان على هذا النوع من الصراع السياسي.

إن مثل هذا الدمار لا يمكن احتسابه بمعايير كمية إطلاقاً.

وهكذا، مع استثناءات لن تكون عصية على الحصر، كانت زعامة يوسف بك الزين تؤسس من موقعها في جبل عامل، لما سوف يكون بعد ذلك أنموذجاً للكيفية التي سيبني على أساسها الوطن والدولة والمجتمع. كانت هذه أولى مساهماته في مرحلة النضال من أجل الاستقلال. ومن

الأسباب التي جعلت منه زعامة من نوع مختلف وفريد في السياسة اللبنانية، فهذه الزعامة لم تكن لترجع إلى شخصيته كرجل يملك رصيلاً عائلياً، تاريخياً ومالياً، وإنما بقدر أكبر وبالدرجة الأولى إلى كونه عقلية وضعت أفكارها عن التعايش الوطني، المجرد من كل نزعة مذهبية أو طائفية معادية، موضع التنفيذ السياسي والاجتماعي.

الشواهد على ذلك كله كثيرة، ولكن ليس هنا مكان تعدادها وليس هنا أيضاً مجال لما قيل فيها أو عنها.

ما يهمنا هو حجم ما استجمعت هذه الزعامة من مبادئ ستكون هي إطار الاستناد الذي يقف عليه "البيت" ومن هذا البيت ستتشأ طاقات أخذ منها أولاده نصيباً هائلاً للاندفاع والالتزام والتصميم. إن تجربة الزعيم المؤسس لم تكن مجرد حساب سنوات نيابية، لأن عمقها الوطني جعل منها تجربة زاخرة وغنية بالمنطلقات التي سيعيشها عبد المجيد الزين موقفاً أمامياً من مواقف جريئة في ذلك الصدام الهائل بين العدل والظلم.. بين الحرية والاستبداد.. بين البطولة والخيانة. بين الحق والتعسف.. بين العلم والجهل.. بين الصحة والمرض.

وسوف يترسخ هذا الصراع أكثر فأكثر حين أضيفت إلى روابط الدين والتاريخ والأخلاق والشرف تجربته هو في التعبير عن مصالح الناس في المجلس النيابي وبصرف النظر عن كل النتائج الانتخابية الأخرى: لقد بقي نائباً في ضمير أغلبية الناس، ولم يكن ليحتاج إلى قبة البرلمان ليمثله، إذ كان يكفيه أن يعيش مع ضميره الذي يمثل "برلماناً" كان نوابه قد سبقوه في تمثيل ما هو مضيء في التاريخ العربي والإسلامي.

زيرة التي
ري على
العصر
من حدود
سه.

بي، وإذا
١٤، وإذا
أفاته سنة
رحم أمه
لا ويصل
لقاً.

الفصل الثالث من نسج شخصية الزّائر

متسلحاً بشجاعته ونبله، انخرط في سلك الدرك بغية الوصول به إلى درك يردّ التحية ولا يرد الطلب. فكان له ما أراد، وكان أول نقيب في الدولة اللبنانية يتسلم زمام أمر سرية، وتألق حتى قيل فيه حقاً إنه ابن حسب ونسب وابن أصل وفصل. وقد استجاب لدعوة ربه وقلبه ورسوله، فكان إلهامه متجلياً في الزواج بسيدته الفاضلة وفاء توفيق شاهين ليرزق منها بشابين.. ماجد، ومحمد، وثلاث فتيات.. ماجدة وزينة وضحي. اصطفى الله إحداهن المرحومة زينة والزوجة الكريمة في ريعان الشباب فبكى عبد المجيد، وما أفضعها النسور وهي تبكي.

خليل عبد النور

ولد عبد المجيد الزين العام ١٩٢٥

وتوفي عبد المجيد الزين العام ٢٠٠٢

وهكذا تكون رحلة عمره قد كفت عن الحركة بعد ٧٧ عاماً

ولكن؟

إن احتساب قوة هذه الحركة وتأثيرها، وما فيها من مخزونات تاريخية وسياسية واجتماعية، هو الذي يؤرخ ويفسر عمق الاندفاع الذاتي نحو المواقع والأدوار. والواقع أنه في مدى حياة فرد، لا تقاس الأفعال من فرط كثافتها إلا بـ "النتائج". كانت العائلة تشهد ولادة تحولات في أوضاعها مضت "تلاحق" بعضها بسرعة تخطف الأبصار.

في البداية كانت عائلة آل الزين كلها تعيش وتراقب ما يحدث في لبنان وهي مبعثرة في بداية الأمر، ثم معجبة به ومعتزة بنسبها إليه. وفيما بعد ارتفعت الستارة عن ظاهرة سيكون لها لاحقاً تداعياتها السياسية والاجتماعية.

هذه الظاهرة لم تكن إلا هو.

ولكن أيضاً ليست وهي في مرحلة نثر البذور: فالطفل المولود، شأنه شأن أطفال الطبقة الميسورة بدأ حياته المدرسية في دير مشموشة، ثم انتقل إلى معهد الفرير ليتابع بعد ذلك دراسته الثانوية في معهد الحكمة.

هنا - مع استثناءات لها صلة بتفتح ذهنه واجتهاده - نادراً ما تراعت

اختلاجاته الذاتية لغير أهله، وبالإجمال فإن الحقبة هذه تظهر الشاب متماهياً مع الحياة العامة التي كانت تعيشها أسرته: ارتباط معنوي وأخلاقي ركيزتاه شخصية الأب ومرجعيته التربوية.

أما عبد المجيد الزين قبل ذلك، فإن ولادته كانت في كفر رمان، وهي الدار - كما يقول إدمون رزق - الموقوفة على صدق الوطنية، وشرف الخدمة العامة. وكان يوم الولادة في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول العام ١٩٢٥، وهو العام الذي سيشهد بدوره "ولادة" يوم تاريخي في حياة جبل عامل. لقد أنجز والده يوسف بيك الزين مشروع جر المياه من نبع الطاسة إلى النبطية وجوارها.

كذلك فهو العام الذي حل فيه المفوض السامي الجنرال موريس ساراي المجلس التمثيلي، ليدعو إلى انتخابات جديدة ولتتم الانتخابات ويولد المجلس التمثيلي الجديد الذي كان والده عضواً فيه، والذي أيضاً سيشهد ولادة الجمهورية اللبنانية ١٩٢٦ ويتحول إلى أول مجلس نيابي فيها.

العلم قبل الزعامة

في الثالثة من عمره، سيدخله والده مع أخواته إلى المدرسة الأهلية في العاصمة بيروت، والمعروفة آنذاك بمدرسة "مس كساب". وبعد سنتين قضاهما في الروضتين الأولى والثانية، انتقل إلى مدرسة دير مشموشة، لينال فيها الشهادة الابتدائية، ومنها إلى مدرسة الحكمة ليكمل فيها المرحلة الثانوية.

١٨ عاماً؟... إنها سنوات دراسة كاملة ومكتملة الشروط: سنة بعد سنة، ومرحلة بعد مرحلة، لا قفزة فيها ولا رسوب.

لا شك أن في الأمر ما يستدعي التأمل: لا اليسر المالي قد أغراه، ولا زعامة البيت السياسي قد غيرت من مسار حياته واتجاهه نحو العلم. هذا مع العلم أن الشهادة الابتدائية ذاتها كان لها ما لها في ذلك الزمان، وكان يمكن أن تثير فيه مشاعر الاكتفاء التعليمي لیتجه نحو اهتمامات أخرى تمنحه المزيد من الإغراء للعيش بلا أي مجهود ذهني يبذله.

ولكن من كان ليقنع يوسف بیک الزین، - وهو الشغوف بالمعرفة والثقافة، بشيء أهم من هذا السلاح التنويري لمواجهة الحياة من دون اتكال على ثروة أو نفوذ؟

فعلاً إنها لمسألة معيارية، أخرى بالمرء أن يستقرئ ما فيها من دلالات ومعانٍ.

العلم إذن كان هو الدافع. ولكن، في السنة التي كان يستعد فيها للدخول إلى كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية - كما بدا شقيقه عبد اللطيف الزین فاعلاً - طرأ حدث غير مجرى حياته.

إلى الكلية الحربية

"ولا بد من أن ندخل دماً جديداً إلى سلك الضباط في الدرك اللبناني!" ويستمتع يوسف بیک الزین إلى هذا الطلب الذي أفصح عنه كبار ضباط الدرك اللبناني، بعد أن شكّلوا وفداً لمقابلته في منزله ببيروت.

وكان الزعيم يدرك بُعد هذا الطلب وأهميته على مستوى بناء الدولة وهي توشك أن تكمل استقلالها النهائي عن الانتداب. ومع ذلك فقد أثر أن يسأل ابنه ما إذا كان يرغب في الولوج إلى هذا الميدان بدلاً من متابعة حياته الأكاديمية.

وكان الابن مولعاً آنذاك بالفروسية. ولكن، مع استثناءات لها صلة بتفتح ذهنه واجتهاده، نادراً ما تراعت لأهله اختلاجاته الذاتية. ولذا، فإن "كشف الغطاء" عن رغبته بالتخصص في مجال الفروسية أدى إلى استجابة والده لطلبه أن يدخل في أول تشرين الثاني ١٩٤٣ إلى المدرسة الحربية في حمص.

كان دخوله في السنة التي أنجز فيها الاستقلال: ٢٢ تشرين الثاني

١٩٤٣

وكان تخرجه في السنة التي أنهت فيها الحرب العالمية الثانية
فصلها الختامي

من فرط تعطشه للعلوم العسكرية والقوانين، تابع الملازم المتخرج دورة سلكية في معهد الدرك ودورة تدريبية في إحدى الفصائل الإقليمية لينطلق بعدها في خدمة علم وشعب بلاده:

- أولاً وقبل أي شيء آخر، أمن كل مواطن.
- ثانياً، مطاردة الإجرام وقمعه.
- ثالثاً، وضع القوانين المرعية موضع التنفيذ العادل.

لم يتعسف ولم يتهاون. وكانت قد بدأت تظهر إلى الوجود الأمني في لبنان فكرته عن دور السلك: لا عدالة من غير قانون.. ولا حرية من غير نظام. فكرته هذه هي التي سيجملها معه، منتقلاً من مركز إلى آخر: من البقاع إلى الشمال، ومن بيروت إلى جبل لبنان.

همّ الجنوب

أما الجنوب، فقد كان إلى جواره دائماً، لا بحكم المواقع التي تسلم مسؤولية الدرك فيها وإنما بحكم معانيته لظروف أهله وهي ظروف جعلت سكان الجنوب في حالة نزوح دائم. كان فقرهم في عقله وضميره. وكانت مشاكلهم في بيته ومكاتبه. وبمعنى آخر، كان الجنوب طيفاً لحالة تجمعت في مشهدها مظاهر التخلعات الاجتماعية بسبب من فقدان شروط الحياة التعليمية والصحية والمهنية، هناك، تجلى مظهر من مظاهر التصدع البنيوي في تركيبة الوطن بسبب من فقدان التوازن السياسي في التعامل مع قضايا الجنوب إنمائياً واقتصادياً و.. وحتى طائفيّاً.

ولكن "طائفيّاً هذه" لم تكن لترزح قناعاته الوطنية. وبسبب من طابع الشمول في هذه القناعات لم يسجل عليه أي موقف منحاز على أساس مذهبي أو طائفي "فالجنوب - وهذه واحدة ثانية من أفكاره عن الوطن - مشكلة ولكنها مشكلة خاصة ناشئة عن مشكلة أخرى أعم منها: إنها مشكلة لبنان الطائفي... ومشكلة "لبنان الطائفي" هي أنها أسيرة لثنائية قاتلة: الامتياز والصراع.

كان همه في العلاقة مع هذا "الطيف" مطاردة الحرمان والتخلف والإهمال من قبل السلطات الحاكمة لكي يتاح له إحقاق الحق والدفاع عن المستضعفين.

"أرض صغيرة تكفي بضع ساعات لعبورها، لبلوغ حدودها، ولا بد لكلمات وصفها من أن توضع في قدح. غير أن العبارة التي ستولد، ترسم في الريح ولا تلبث أن تذرى وتمحى، ما إن تتكدس عبارات أخرى، وتطررها تحت وابل من أمطار التناقضات".

بهذه الكلمات، حذرت الشاعرة أندريه شديد الهائمة بلبنان من غواية التوليفات.

والواقع أن إحدى النقاط المركزية التي يتقاطع عندها متتبعو شؤون الدولة اللبنانية هي كثافة الالتباس وتعقيداته.

ضاقدوا ذرعاً بتصرفاته

وهكذا، بدلاً من أن تضم الدولة إلى ذلك السيل من الأوسمة التي حاز عليها تقديراً لوطنيته العميقة المجردة من كل تعصب، فإن المسؤولين فيها ضاقدوا ذرعاً بتصرفاته الإنسانية فعملوا على تطويقه ومضايقته عسكرياً، الأمر الذي دفعه إلى الاستقالة. وكان ذلك في شهر آذار سنة ١٩٦٧. وهي السنة التي توفيت فيها زوجته المرحومة السيدة الفاضلة وفاء شاهين.

أبّ وأمّ

فارقته بعد مرض عضال، استيقظ من قوقعته فجأة وراح يلتهم حياتها.

ماتت وكان موتها مصيبة هزت كيانه من الأعماق. فمن الآن وصاعداً سيعيش وحيداً ولن يرضى بأن تشاركه امرأة أخرى حياته. هذا بالرغم من وجود خمسة أطفال كان عليه أن يعيلهم ويسهر على تربيتهم وتعليمهم: ماجدة وماجد وزينة وضحي ومحمد.

تلك هي التركة التي أورثته إياها. وكانت ثمينة وغالية، إلا أنها في الوقت ذاته كانت تركة ذات حجم كبير من المسؤولية.

ومع أن الله منّ عليه بامرأة فاضلة ومربية وصاحبة خبرة طويلة،

لنتولى هي السهر على الأطفال والإشراف على إدارة شؤون بيته، فإنه في الواقع لن يتخلى عن مسؤوليته المزدوجة: أن يكون أباً وأماً في آن معاً. ولشدة ما كان شعوره بهذه المسؤولية طاعياً، فلقد لازمه شعور داخلي ينطوي على قلق إزاء خريطة الحياة الاجتماعية وتضاريسها. فخلف حدود التربية والتعليم، ثمة آخر: عالم يتأهبون لدخوله، وقد يخترق "سدود" مناعتهم فيجرفهم تحت لججه.

وكان جدول أعمال دوره هنا أشدّ ضغطاً وانضغاطاً: إن أيام العطل والأماسي والأعياد والصدقات، وأوقات الفراغ والتوجه نحو الحياة العامة... كلها لن تعود على تخوم علاقته الأبوية معهم، وإنما ستدخل في صلب حياته واهتماماته، وعلى نحو دراماتيكي في بعض الأحيان. لن تمر الأشياء إلا من بين "عيون المنخل" الذي أجبرته المسؤولية على صنعه.

الفصل الرابع حارس المرمى

(شهادة العميد الركن فرنسوا جنادري)

لم يكن في وسع المرء إلا أن يعجب لهذا النسيج من
الفروسية العالية والتواضع المؤكد. ومع ذلك فهذا
هو الدم الذي كان يجري في عروقه وكان جديراً
بالاحترام بسبب مواقفه في كل مجال إنساني
ووطني... منذ مولده وإلى حين وفاته.

إذن، دخل المدرسة الحربية في حمص العام ١٩٤٣.

كانت عينه الثاقبة كعين النسر. تلمح بسرعة البرق اتجاه "الكرة
الفريسة" فينقض عليها ويحول دون اختراقها مرماه... يتذكر العميد الركن
فرنسوا جنادري شيئاً ذا دلالة عن حياة الفقيه التي وحدها تكفي لتأليف
رواية متعددة الفصول.

ويضيف: "أذكر ماثرة جرت العام ١٩٤٤ وهي أن فريق كرة
المدرسة الحربية قرر أن يخوض مباراة ضد فريق "الجيش الأجنبي" وذلك
لإحراز بطولة شمال سوريا.

في هذه المباراة تعادل الفريقان، فمُددت المباراة لحسم الموقف
مرتين. انقضت الدقائق الأربعون وكان الفريقان لا يزالان متعادلين، فتم
اللجوء إلى ضربات الجزاء الخمس. جرت القرعة وكانت البداية لفريقنا.

فكان أن هزت شباك الخصم "ركلات" أبطالنا الخمس".

ويضيف العميد الركن جنادري: "إكليل الظفر يعود إلى عبد المجيد: حارس مرمى الفريق.

تصوروا أربعة آلاف عين مسمرة كالسهام في كل جزء من جسده في حين أن دقات قلب الحارس الكبير المتسارعة كادت تسمع في أرجاء الملعب. وأطلق خير لاعبي الفريق الخصم الكرة الخامسة بكل ما أوتي من حنكة وقوة، وإذا بالحارس الأمين الأعجوبة - لا يدري بصرٌ كيف؟ - يثب ويلتقط الكرة. يحضنها بين ذراعيه احتضان أم لصبي بكر".

"تدوي صفارة الحكم ويختنق صوته في ضجيج الجمهور وصياحه وتدافعه حول البطل/الأسطورة حتى كادوا يحبسون أنفاسه".

"احتضنها بين ذراعيه احتضان أم لصبي بكر". تتكرر الأمثلة، فالضابط في موقعه مرة أخرى: حارس لرمى وأم تحتضن.

ولهذا دلالاته أيضاً وأيضاً. إن هذه الثنائية المترابطة مع بعضها البعض، وفي صورة عضوية بالرغم من تقشف ظهورها المباشر، بالرغم من عدم "مشهدية" تجسدها المسلكي.. تأتي في سياق حياته الوجدانية والعقلية متوحدة مع مفهومه عن الإرادة والواجب وما يجب أن يناط بالتعبير الإنساني عنهما:

إن الإرادة والشعور بالواجب الوطني يجب أن يتجها نحو تكوين نواة دفاع تتجسد لا في السياسة فحسب وإنما في حياة كل فرد. تلك هي مفهوميته.

وكان يضيف: "كما في الرياضة كذلك في القيم والثقافة والحضارة والأرض، كما في الأمن وفي الهوية، في الحاضر والمستقبل، جميع هذه

القضايا وغيرها تحتاج إلى حراسة مرمى حراسة تحول دون الهزيمة ودون الاختراق ودون الانحلال".

هل هذا كل شيء؟... ليس بعد.

إن حراسة المرمى تستدعي الواجب التربوي: استنهاض المواطنة لخلق النواة الحارسة. وعن طريق التعليم والترشيد يتحول المجتمع مع تعدد نشاط أفرادها إلى كتلة متراسة متماسكة بالانضباط ومتعاضدة تتحرك بلحمها ودمها، بعقلها وروحها، على مساحة الوطن برمتها.

ذلك هو معنى "حارس المرمى". وهو معنى كثيراً ما جاء مقروناً، لا بدور العساكر فقط وإنما بدور الأم والأب، العامل والفلاح الموظف الخاص والعام، النائب والوزير... فليس من أحد إلا ويجب أن ينخرط في العملية المزدوجة: احتضان الوطن والذود عنه.

وكانت تلك هي أولوية الغاية التي ستتشأ في سبيلها الرابطة: أولوية تخليص العلاقة العائلية من شكلها القبلي ورفعها إلى مستوى نواة تحرك معها الانتماء السياسي إلى فعل أوسع شمولاً أو أبعد هدفاً.

ولئن كانت أولوية الغاية هي الوطن، فسيكون من الطبيعي أن "يُجبر" لها "كل الأولويات الأخرى. بما في ذلك أولوية أن تكون العائلة كتلة، والرابطة حيزها لتوحيد إرادتها لتوفير أكبر قدر ممكن من المشاركة الوطنية المكثفة والفاعلة على حد سواء.

وفي هذا "جنر من جذور العداء" للانغلاقية وفكرة الحزبية العصبية بشكل عام.

ماذا بعد؟ ما عرف ثغره قوله: لا... يقول العميد الركن فرنسوا جنادري:

"شعاره شعار الروتاريين: "الخدمة". ولقد فعل ما بوسعه لخدمة رفاقه.

كل هذا ولم يعرف عنه الضعف إطلاقاً: بنيته شديدة القوة واللياقة. خطواته دائماً في ثبات وصمود. وكم مرة شاهدناه أثناء التدريب يقطع مسافة أربعين إلى خمسين كيلومتراً سيراً على الأقدام". ويختم العميد الركن جنادري بالقول: "كفى... ذلك أن الكلام عن عبد المجيد الزين لا يكفي مجلد بكامله" و"حياته وحدها تكفي لتأليف رواية متعددة الفصول".

محطات ومستجدات

ولئن كان العميد الركن "فرنسوا جنادري" قد عاد به الزمن ستين عاماً إلى الوراء إلى ذلك اليوم حينما جمعتهما مقاعد المدرسة الحربية في حمص، فإن الشواهد الأخرى ما زالت تلح:

بعد أن دخل إلى المدرسة الحربية في حمص العام ١٩٤٣ - وكان العام عام استقلال لبنان - التحق بسلك الدرك العام ١٩٤٥، وهو العام الذي ختمت فيها الحرب العالمية الثانية فصلها التراجيدي الأول. في العام ١٩٤٨ رُقي إلى رتبة ملازم أول. وكان ذلك العام الذي قسمت فيه فلسطين.

في العام ١٩٥٢ ترقى إلى رتبة نقيب. وفي السنة نفسها قامت ثورة ٢٣ يوليو في مصر.

ثم ترقى إلى رتبة مقدم في قوى الأمن الداخلي العام ١٩٥٨. أي عام الحرب الأهلية في لبنان.

وبعدها وضع على جدول الترقية لرتبة عقيد، وكان ذلك سنة ١٩٦٥ أي بداية دخول لبنان في المستجد الفلسطيني المسلح على ساحته. ويوم ترك قوى الأمن الداخلي كان العام ١٩٦٧ عام النكبة في الوطن العربي، على صعيد صراعه مع العدو الإسرائيلي.

كل هذه المحطات وتواريخها، لن تكون مجرد مصادفات أو تقاطعات التقى عند نقاطها كل من تواريخ ترقياته مع تواريخ أحداث ومتغيرات كبيرة ثم افترقا كل في طريقه. من دون أن يتبادلا التأثير.

إن تلك الأحداث والمستجدات الطارئة على لبنان ومحيطه، لن تعبر إلى مصيرها في غفلة عن وعيه السياسي.

على طول هذه المسافة الزمنية الممتدة من يوم دخوله إلى المدرسة الحربية في حمص إلى يوم استقالته من قوى الأمن الداخلي وما رافق ذلك من صراعات عربية - عربية، فضلاً عن صراعات العرب مع الكيان الصهيوني عند مداخل النصف الثاني من القرن العشرين، وتحول هذه الصراعات إلى صراع محموم في اتجاه استقطاب لبنان، أدرك عبد المجيد الزين أن لبنان لن يكون مجرد ساحة لهذه الصراعات وإنما سيختلج من داخله وقد يتحرك منقاداً ليصبح أداة بدلاً من أن يتخذ لنفسه دوراً يفعل فعله لرأب التصدعات العربية.

باختصار، كانت فترة للاختمار السياسي الذي سيفصح عن نفسه في المواقف السياسية يوم أصبح نائباً منتخباً في الندوة النيابية. وهذه الفترة هي بالضبط ما جعلته شخصية سياسية من نوع مختلف ومميز في المواقف والأدوار الوطنية.

لقد شاعت الظروف أن يتحمل مسؤولية كان حجمها بحجم ما

استجمعه المجتمع اللبناني من توترات وحساسيات تتصل بالسيادة، وبالهوية، وبتعدد وجهات النظر في شأنهما.

ومع تسارع إيقاع الأحداث جاءت مسؤوليته كشاهد صلب للتعبير عن عمق حسه الوطني وما يضره من إحساس بخطر الفجوات والشقوق في بنية المجتمع اللبناني والتي تعشش فيها الطيور الجارحة: التناحر الطائفي + ازدياد الفقراء + التسلط والاستبداد + عشق الكراسي + القوى التي تميل إلى الحفاظ على البلبلة + ظواهر معينة من الطنين المسلح... كلها شكّلت كتلاً ضخمة أو تيارات تتجاوز التخوم المذهبية لتصبح خطراً يهدد لبنان برمته.

وإن ما ظهر جلياً قوياً في وجه هذه الكتل دوره كحارس مرمى، ولقد قاسى وتحمل بدون أن يتعب وبدون أن يغفو وبدون أن ييأس. إذا ما أفلتت من رفاقه فرصة كنت تراه يصنع لمرماهم فرصاً. وإذا ما خسروا "موقعة" أكسبهم مواقع ليستجمع قواه لحماية مواقع أخرى مهددة.

ولكن من كان ليثمن هذا الدور؟

للأسف فإن حارس المرمى بدأ يتلقى الضربات الجزائية من الجهات التي كان من المفترض بها أن تشكل هي خط الدفاع عن شبابه.

في المجلس النيابي

إن عبد المجيد الزين، سيتعرض لحملة مسعورة استهدفت سمعته وتاريخه أو شكت أن تنال منه.

ولكن المشهد غداة الانتخابات النيابية ١٩٦٨ كان محزناً ومهيناً لمستهدفه.

لقد فاز عبد المجيد الزين المرشح عن دائرة بيروت الثانية مقابل المرحوم رشيد بيك ببيضون الذي كان وزيراً للهاتف والبريد والتربية الوطنية والدفاع.

وخلال ولايته النيابية (١٩٦٨ - ١٩٧٢) انضم إلى "الكتلة المستقلة النيابية" وكانت هذه أول كتلة تتأسس في تاريخ المجلس النيابي، ويذكر أنها تقدمت بعدة مشاريع قوانين إلى المجلس وصدق منها الجزء الأكبر. وفي السياق نفسه كان قد انتخب عضواً في لجنتي الخارجية والدفاع البرلمانيتين وشارك في العام ١٩٧٠ بانتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية إلى جانب المغفور له فخامة الأستاذ الياس سركيس.

الطيور الجارحة

وفي العام ١٩٧٢ أعاد ترشيح نفسه ولكنه خسر بفارق ٢٣ صوتاً فقط.

والسبب؟

الطيور الجارحة كانت لا تزال متربصة له. لقد سقط بتأثير الضغوطات، ولم يسقط بسبب أي تأثير آخر، ولو شاء أن يلعب لعبة الانتخابات الملتبسة لكان لجأ إلى شراء الأصوات، ولكن شراء الأصوات كان يصبّ في خانة العداء والمعاكسة لمبادئه وفكرته عن الديمقراطية السليمة.

الفصل الخامس الديباجة والتدابير

كيف يمكن أن يكون لنا حاضر ومستقبل واعد
إذا قطعنا صفنا وتكرنا لجذورنا وتاريخنا.
عبد المجيد الزين في رابطة آل الزين

بين أولئك الذين انتظموا في أحزاب وجمعيات ومنظمات، لم يكن
هنالك أمين عام، أو قيادي مركزي، يفعل ذلك لغرض احترام قداسة
الرأي. ما من واحد من هؤلاء إلا وجعل فرديته الطاغية تحل مكان
النظرية والديموقراطية. وما منهم من عاش وسط الجمهور للاحتكام إلى
رأيه أو وجهة نظره.

وإذا رأينا واحداً منهم أو اثنين، أو ثلاثة، ارتضى مثل هذا العيش
بعيداً عن كل أنانية وتسلط، بما في ذلك تسلط الاستلاب التنظيمي
الصارم، فإن هذا سيكون عندئذ هو الباحث عن إطار أو حركة أو شكل
من أشكال التنظيم، ليسير بالناس وإليهم، بدلاً من أن يسيروا بالتنظيم
ويتحركوا إليه.

كان عبد المجيد الزين يعيش في السياسة حتى آخر رمق من حياته.

الحزبية في لبنان

ولكنه مع ذلك كان يتطلع إلى فكرة الحزبية - بمعناها المرذول - بهلع، خصوصاً أنه عايش ولاداتها وتلمس - وهو المحتكّ بهموم الناس - ما في بعضها من التباس سياسي يتمحور على المنافسة من أجل السلطة، وبأي ثمن، في حين رأى في بعضها الآخر جانباً يتعلق بالاستقطاب الإيديولوجي المتماهي فكراً وممارسة مع نظريات نشأت في مجتمعات لها خصائص - سياسية واجتماعية واقتصادية - مختلفة كلياً عن خصائص المجتمع العربي ومنه المجتمع اللبناني. لقد راح يتأمل هذه الأحزاب والتنظيمات كمتأمل في نهر "يأتي من مكان مجهول" ثم يمضي إلى أي كان، يجري ليجري، ويسير ليسير على امتداد مساحة المجتمع وعبر فراسخه الطائفية والطبقية، وليس معروفاً ما إذا كانت حركته تتجه لمصب، أم أنها تمضي وهي تلاطم الواقع لمزيد من الجرف، ولمزيد من التصادم من دون أن تسقي وهي على هذا الطريق، سوى تلك الحقول المؤاتية للتحول إلى عنصر من عناصر التفجير.

والى جانب نظريته هذه كانت له رؤية مضيئة، عن تلك الأحزاب ذات الولادات الطبيعية، وذات الأهداف التي لا يلتبس فيها المحلي مع الأجنبي والتي لا تضبط إيقاعها السياسي على نغمات فيها الكثير من الألحان المعزوفة سابقاً بمسارح أعدت خصوصاً لتأجيج المحارق خدمة لمخططات لا يكون الوطن فيها سوى قربانٍ أو ضحية وتسقط في غفلة عن وعي المستمعين.

ولقد جاءت الحرب الأهلية في لبنان، لتصف بدماء الأبرياء، حالة الاهتراء المطرد لكل من الأحزاب ونظرياتها، لتكشفهما أمام استنتاجاته المبكرة.

كان قد استشعر الخطر في منتصف الستينيات عندما رأى العواصف
تزحف سريعة إلى لبنان، وسط مجتمع بالغ الانقسام والتفكك.

إيديولوجيا ما وراء البحار

إلى هذا أيضاً فإنه أمام تخلع الدولة بسبب "الازدواجية" التي اتسمت
بها في أعقاب "العهد الشهابي" وأمام تدافع النظريات الإيديولوجية
المتصادمة والآتية من وراء الحدود والبحار، رأى أن لبنان بدأت تُرمى
على أكتافه كتل من الأثقال، بأكثر مما يحتمله تركيبه الفسيفسائي،
خصوصاً أنه كان لتوه قد خرج من حرب أهلية كادت تطيح وحدته
وصيغته للعيش المشترك.

العواصف وهي تزحف حثيثاً إلى لبنان، والأمواج العاتية التي بدأت
تظهر في الأفق، وخرائط الصراع (على) الشرق الأوسط، وإلى جانبها
خرائط الصراع (في) الشرق الأوسط... كلها راحت تختلج في أعماقه
وتفتح ذهنه على الثغرات البنيوية التي بدورها، أوجدت أدوات كثيرة، بما
فيها اللعب في التعبئة والاستقطاب الطائفي وتهافت اليمين واليسار على
جمهور كان لا يزال يتحسس طريقه نحو الوعي السياسي... كلها راحت
تختمر في وجدانه وعقله وتضعه كما سبق وأشرنا أمام تلك الأسئلة
المتعلقة بالمبادرة التاريخية.

ولادة الرابطة

أولى المبادرات، كانت في عودته إلى فكرة سبق أن ولدت في العام
١٩٣٦ وهي فكرة تأسيس جامعة عائلية بموجب أنظمة الجمعيات المعتمدة
في لبنان.

واللعلم والخبر، فإن هذه الجامعة قد قامت فعلاً وتأسست بموجب قرار صادر عن وزارة الداخلية وكان رقمه ٢٦٦٤. وهذه "الجامعة" ضمت يومها جميع فروع العائلة: آل الزين، وآل الخليل، وآل سعدي، وآل الخطيب.

وكان من مؤسسيها: يوسف بك الزين، وكاظم بك الخليل، والشيخ أحمد عارف الزين، وشريف خطيب الزين وسواهم من وجهاء العائلة. ولكنها لم تعمر طويلاً.

والحال أن الرابطة التي أعيد تأسيسها في شهر آذار العام ١٩٦١، انطلقت بعد اجتماع عام في النادي الحسيني لآل الخنساء، إلى فتح باب الانتساب الرسمي للرابطة وإلى انتخاب هيئة إدارية برئاسته - وكان ما زال في السلك العسكري ومرتبة مقدم - وإلى ترسيخ القواعد الثابتة في مجالات أهدافها ومناشطها. وفي هذه المرحلة، وبعد جولة ميدانية غطت تواجد العائلة في محافظات لبنان، اكتملت الصلة العضوية بين جميع أفراد العائلة بعد زوال الشتات الذي جاء في أعقب الحرب مع أحمد باشا الجزار.

على طول هذا الخط الممتد من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥ ستكون العائلة في عهدة رابطة خارج "سنوات الغليان" رابطة تتحرك بكتلتها البشرية في صيغة من تعاضد اجتماعي - سياسي، ومؤسسة تأخذ موقعها داخل مسار وطني يجهز ويؤهل وينتج من الولاءات ما يزخم حركة البناءات الأساسية للوطن والمجتمع والدولة. وهكذا فالذي قام بالحملة الانتخابية هي الرابطة التي أوصلت عبد المجيد الزين إلى البرلمان.

ولكن مع حلول منتصف السبعينيات، ومع انفجار الحرب الأهلية في

لبنان، لم يعد الارتباط العائلي وانتظامه سوى ذكرى بعيدة ولكنها ذكرى
شكّلت نقيضاً سياسياً للإجماع الذي اتصفت به العائلة إزاء مرجعيتها
المركزية: الرابطة.

إحياء الرابطة

وفي الأعماق كان النسيج الوجداني لا يزال على حاله مشدوداً ونقيّاً
سواء بسواء. ولهذا، ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأ هذا
الوجدان ينسحب على فكرة إحياء الرابطة من جديد. وهكذا عقد ذلك
الاجتماع النوعي في منزل رئيس الرابطة، وتمّ الاتفاق فيه على وجوب
استنهاض العائلة، وجعلها مرة أخرى تعود إلى ما كانت عليه قبل
الحرب الأهلية.

وفي أول تموز من عام ١٩٩٤ دعي إلى مؤتمر عام، استجابت له
الأكثرية المطلقة من العائلة، وتمّ التوافق على تعيين هيئة تأسيسية جديدة،
تكون بمثابة هيئة إدارية مؤقتة. وفي هذه الأثناء بدأت حملة تبرعات من
الميسورين في العائلة تولّاها الشيخ عبد الحليم الزين.

والشيخ عبد الحليم الزين يتصف أصلاً، بكونه مؤسساً عريقاً
للجمعيات الخيرية، وبالتالي لدور هذه الجمعيات في حقل التعليم، وكان
لهذا الحقل بالذات دوره في توفير الفرص التعليمية لعدد من الفقراء لا
يمكن تعدادهم الآن.

ومن هذا المال تمّ شراء مقر للرابطة.

تبع ذلك فتح المجال للتفكير في مشاريع أخرى ليُصار إلى العمل
على تسهيل التقديمات الاجتماعية في دروبها كافة لكل أبناء العائلة.

لجان الرابطة

المرأة. الشباب. الثقافة. هي التي ستبقى متوهجة في عقل عميد الرابطة.

وكان في وسع هذا الوهج أن يعكس نفسه على برامج الرابطة، ينير محتواها بنفسه ويتلقى منها عزيته في الوقت نفسه.

إن النجوم الثلاث هذه ستمنح الرابطة نبرة جديدة للانتماء. لم تعد النجوم "علامات هادية" بل أصبحت غايات.

أما وسائل هذه الغايات، فقد تعددت وتفاوتت:

في البداية تكونت لجنة شؤون المرأة.

ثم وضعت استمارة للبحث الاجتماعي بهدف تشخيص أوضاع كل أسرة، وتحديد هرم الأعمار والذي من دونه لم يكن ثمة مجال لفرز الكتلة الشبابية - الحيوية في بنية العائلة.

ثم كانت المحاضرات، باستدعاء أصحاب الاختصاص من أبناء العائلة، بهدف استبقاء وضوح الرؤية في تفكيرهم، حول الوطن اللبناني، وأصول الدين، وقرارات في تحولات نهايات القرن العشرين.

لقد كانت منظومة أفكار قامت على تطلعات كانت آفاقها أبعد بما لا يقاس من تجلياتها الميدانية.

أما ما كان يخص عميد الرابطة، فإن آفاقها لم تكن غير الرؤية التي أراد للجميع أن يسيروا في مداها:

- رؤية كل شاب من العائلة منخرطاً ومندمجاً في نشاط الرابطة.
- رؤية كل كاتب وأستاذ ومعلم وصحفي... مشتركاً ومساهماً في رفع

العقل إلى مصاف العملية الذهنية التي بإمكانها أن تنتج ما يساهم في
إغناء تاريخ العائلة الفكري، وما يساهم في إغناء الوطن بروى مستمدة
من دور لبنان الذهني.

• رؤية كل مثقف من العائلة يمارس دوره في الرابطة بعيداً عن أي
مقاربة مع تلك النماذج التي لا يمكن التكهن بأدائها الثقافي.

إن ما كان يسعى إليه العميد، هو قبول اقتراحه بأن يكون المثقف
ملتزماً بالحقائق وبمعايير الخلاص من البؤس الإيديولوجي. وغالباً ما كان
ينتشي إذا ما ظهر هذا المثقف، وهو يبدو متجرداً وموضوعياً. وبالمقابل،
غالباً ما كان يُحبط إذا ما رأى مثقفاً من العائلة يقوم بتشويه الأداء
الجريء للعقل، كأن يغير رأيه وفقاً للظروف، أو أن يأخذ وضع المتواطئ
من خلال "صمت حذر" أو بكثير من التبجح السياسي، ولا تكون ردود
فعله إلا في وقت متأخر، وبأسلوب خطابي - مسرحي. لم تكن العين
لتماري لعبته قط.

أفعال لا أقوال

ويبقى أن عبقرية عميد الرابطة عبد المجيد الزين، تكمن في استيعابه
العميق للفعل وليس للأقوال.

وأيضاً للتأثير العمودي المكثف، بدلاً من التأثير الأفقي القابل للتبدد
في أي وقت.

وأيضاً وأيضاً، للتنظيم الذي يملك قاعدة استناد، وتكون بحجم قدرته
بدلاً من الانفلاش، الذي غالباً ما اختزل العمق إلى ملخصات سطحية، بل
إلى شعارات لها تأثير المخدر المبهر.

لقد آمن "أبو ماجد" بأن بقاء هذا المنطلق وتاريخه على قيد الحياة
رهـن بالتكتل المنظم، الذي سينتظم في منظومة أكبر منه: رابطة لجميع
أبناء العائلة ترتبط بوطن لجميع أبنائه.

الفصل السادس

أية نيابة.. وأية خيالات: الطريق الثالث

"هكذا هم أهل الدار، كبار على تواضع وهم لا يعرفون تمييزاً بين إنسان وإنسان، أو بين طائفة وطائفة. ذلك أنهم سكنوا إنسانيتهم في الأعماق فلامسوا وحدة الطينة التي جبلنا منها جميعاً فشهدوا وتصرفوا على هذا الأساس.

إن النيابة لم تُجر في أعماق شخصيته تحويلاً ولا تبديلاً. فهي للتكليف وليس للتشريف وهو غني بها وغني من دونها، رأيها في كلا الحالتين جمع الشمل والحفاظ على وحدة لبنان حيال ما يتهده من أخطار. وقد وقعت فعلاً هذه الأخطار من الداخل ومن الخارج وهددت مصير الوطن رامية بثقلها على المواطنين الضعفاء. فتصدى لكلا الخطرين بثبات المؤمن على إيمانه وبالدعوة إلى الرجاء المحيي لئلا نفقد الثقة بمستقبل الوطن. وكان له ما أراد في أعماق قلبه لأنه أراد أولاً عودة لبنان إلى ذاته عبر الوفاق الوطني الصحيح.

لقد تعلم في بيته كما في "الحكمة" أن أقوى ما يجمع بين المسلمين والمسيحيين في وطنهم هذا لبنان هو ميثاق المودة والحب الذي لا غش فيه.

بولس مطر

رئيس أساقفة أبرشية بيروت

"لم يعد الالتباس ولا التلويح ممكنًا".

"إن الوطن هو الذي في خطر".

"إن العبث في الأمن، واجتياح السلاح الغريب والمحلي للبنان الحوار، وتفاقم الصراعات الأجنبية على أرضه وفرض التراجع على القوى الحية، وفقدان التوازن في التعاطي مع شرائح المجتمع اللبناني والاستهتار بالدولة واستنفاد شخصيتها المعنوية بالتسلط والفوضى... هي المؤشرات البادية للأذهان في هذا الخطر".

كانت هذه هي كلماته في التعاطي مع الوقائع التي استبدت بالوطن. ونحسبها أنها أضافت إلى مسؤوليته مسؤوليات كبيرة أكلت من عمره كما لم تأكله هموم أخرى.

فهو بعد أن خسر معركته الانتخابية الثانية بفارق ٢٣ صوتاً، تحمل تجربة النيابة في مجلس الناس بكل تكاليفه النفسية والمادية. ولأنه كان من المؤمنين بأن التمثيل لا يتجمد عند موقع بعينه، فقد بقي في حياته وفي ضمير الناس، نائباً يتمثل حاجاتهم ومشاكلهم، ويخوض في سبيل معالجتها "المعارك" مع أنها غالباً ما كانت من صنع أولئك الذين يعملون ضده، بما في ذلك الواقفون على "الحياد" من هذه الحاجات والمشاكل.

ونظنه هنا قد بدأ يختار "لحظة رفع الستار عن مواقفه في حوار مع التاريخ". ولم يكن مدفوعاً بغير اعتقاده هذا:

إن مشاكل لبنان - كانت الأخطار يومها قد تجاوزت عتباته - باتت مطروحة على كل مواطن ومسؤول. وإن الوعي العام والشعور الفردي بالمسؤولية في مواجهتها هما "شيء واحد".

احتضار وطن

فالأمر "بات يتعلق باحتضار هذا الوطن أو بعث حياته من جديد". ومعادلة من هذا النوع ليست مما يخص أو يهم الإسلاميين أو اليساريين أو اليمينيين أو العلمانيين، الرجال والنساء... "فليس من أحد على أرض الوطن إلا ويجب أن يدخل في حلها. ولقد كانت نقطة انطلاق في هذا الأمر هي: أحداث العام ١٩٦٩ وما رافقها وتلاها، بدءاً بتدمير الأسطول الجوي، مروراً بانتفاضات الطلاب ومعها الصدمات المتواترة مع الوجود الفلسطيني و.. ورجع الصدمة التي ولدها تكاثر الأسلحة بيد الناس، فليس أقل مفارقات الوضع اللبناني يومئذ أن تكون الدولة قائمة وعاجزة في آن واحد، ولا تستطيع هذه الدولة أن تحقق سوى "انتصارات سلبية" من دون أن تتوصل إلى حل وطني شامل؟

تصارع الأحزاب

لقد هبت القوى الحزبية في الوطن كله ابتداءً من العام ١٩٦٨، في صراع بينها شبيه بالصراع بين "قطط برية"، كل حزب راح يتربص بالآخر لينقض عليه... وصولاً إلى الانتخابات (١٩٧٢). فإذا بالقوى التي يتجسد فيها هذا الصراع تفوز بنجاح كبير.

وكانت ثمة مفارقة ثانية شبيهة بالأولى قد وجدت داخل المجتمع اللبناني: حيث كان هو الأكثرية المطلقة و.. لكنه هو الآخر كان عاجزاً في آن واحد.

كل واحد من داخل المجلس ومن خارجه، رفض الانخراط في ثنائية الصراع الطائفي، والصراع الحزبي، والصراع اللبناني - الفلسطيني "وجد نفسه كبرج هائل في السهل، لا يملك أية قوة منظمة خارجه ولا إلى جانبه" إلا... إلا ما خص الوفاء.

نائب خارج البرلمان

إن - قال عبد المجيد الزين لقاعدته ولعائلته -: فمن ذا الذي يستطيع في هذا السياق أن يتخذ المبادرات الوطنية للخروج من هذا المأزق، ليس فقط لإنقاذ نفسه وأهله، بل لإخراج لبنان منه، ولرسم آفاق أخرى أمام أجياله؟ فإن لم تكن المواطنة الشريفة، والأشد قلقاً على مصير بلادها فمن يكون إذن؟

وكان جوابه - وفي حدود هذا السؤال - قد صاغه من قناعة راسخة لديه ومزدوجة في الوقت ذاته:

- لا يمكن لأي جهد أن يبذل في هذا الإطار من دون الوفاق الوطني الصحيح.

- لا يمكن للوفاق الوطني الصحيح أن يتحقق إذا لم يتغير دور الدولة تغيراً عميقاً وموضوعياً.

وعلى الأساس هذا، فإنه لم يلتفت إلى "خسارته الانتخابية" بل اعتبر الخسارة الكبرى التي يمكن أن تصيبه هي في أن يقدم بطاقته للسلبية.

ولهذا دأب على الاستمرار، وقد استمر نائباً بكل معنى النيابة المنطوية على تمثيل لبنان في البحث عن حل لإخراجه من المأزق الذي وجد نفسه فيه.

رابطة النواب السابقين

كانت البداية في إعادة تصحيح مفهومية التمثيل في العام ١٩٧٥ إذ أسس مع بعض الزملاء رابطة النواب السابقين وانتخب رئيساً لها حتى وفاته. وكانت رابطة من جميع الطوائف وتضم أكثر من خمسين نائباً

سابقاً عملوا جميعاً في الحقل السياسي، وكانوا يمثلون شريحة كبيرة من المواطنين في دوائرهم الانتخابية.

هنا، على عكس رجال السياسة الذين أثروا السلامة بالغياب، فإن رابطة النواب السابقين التي أسسها، راحت تنتشر جواً وطنياً مستقلاً، نأى بقواعدها عن الارتباط أو الاندماج في السياسات المتوترة والمتعصبة، وعن الانجرار إلى أجواء الميليشيات. هذا فضلاً عن رفض التوقع والتعالي على الواجب الوطني.

وكان يتمثل هذا الجو بالاجتماعات الدورية التي انتظمت برئاسته، وبالمواقف السياسية التي كانت تتخذها الرابطة.. وكلها كانت تصب في آلية لتزخيم الوفاق الوطني وتكريسه كضامن وحيد لحفظ البلد من التفتت أو الاندثار.

وكانت هذه صفة من صفاته قلماً وُجدت في إنسان كبير بهذا الحجم في وطن تمزقت عنده الأنانيات والاستقطابات المذهبية.

ولكن فوق هذا كله، فإن هذا التوجه الوطني كان أمراً وثيق الارتباط ليس بالتاريخ السياسي لبیت كفر رمان فحسب، بل أيضاً بنظرة سياسية كانت قد وجدت تعبيرها الرمزي بصيغة "حارس مرمى" لتتطور بعد ذلك إلى صيغة مهندس للشأن الوطني، لم تفارقه على مر السنين.

إن عبد المجيد الزين - يقول القاضي جوزيف فريحة - مثال المواطن اللبناني المنفتح على الآخر من دون تكلف ولا تعصب. كان مؤمناً بقضايا شعبه وتطلعهم إلى الحياة الكريمة والتقدم، مؤمناً حتى النخاع بصيغة العيش المشترك والانصهار الوطني بين مختلف الفئات والمذاهب والأديان.

العيش المشترك

يضيف القاضي فريحة: لقد سعى بإخلاص عندما تبوأ المسؤولية العامة إلى تحقيق ما آمن به، وناضل حتى ساعات حياته الأخيرة في سبيل ما اعتقد. فلم يكن كالبعض الذين يعتبرون أن مهمتهم أو مسؤوليتهم انتهت بتركهم المركز السياسي الرسمي، بل استمر في تحمل المسؤولية كمواطن شريف بعد تركه الندوة النيابية، منخرطاً في صفوف الشعب، وظل وفياً له، عاملاً بكل ما ملكت يده وموظفاً ما تبقى له من رصيد سياسي، وهو كبير، ليلبي حاجات الناس ومطالبهم ليقبوا أعزاء كما يحب لنفسه أن تكون.

لا ننسى - يقول الرئيس رشيد الصلح - أنها كانت مرحلة حافلة بكل أنواع المخاطر، ناضل فيها عبد المجيد الزين ضد الانقسام الداخلي وضد الحصار الأسطوري الذي عاشه جنوب لبنان وعاشته بيروت. وفي مرحلة الغزو حيث مرت على العاصمة بيروت فوضى الأحقاد وجنون العصبية المريضة، بذل كل جهده وسعيه لإزالة هذه الشوائب وإعادة أجواء لبنان والعاصمة بصورة خاصة إلى جو الوحدة والمودة والاتفاق.

إعادة بناء الوطن

هذه هي وطنيته: وطنية التحدر العائلي في المكان، والالتزام بوحدته من دون تجزئته، ومن دون اقتطاع أية مساحة جغرافية أو نفسية، طائفية أو إيديولوجية، حتى ولا ثقافية أو حضارية، باسم التمازج أو باسم التمييز، أو باسم التعدد.

ولئن كنا قد ذكرنا البيت السياسي، الذي استقى من منهله هذا التوجه،

إلا أن ما وفرته تجربته الخاصة في الحياة السياسية، جعله في وضع ميداني للإتيان بآراء وصيغ - كالتى تجد تعبيرها في الروابط التى أسسها أو في المؤسسات والجمعيات التى اشترك فيها - رفعتة إلى مصاف أولئك الرجال الكبار الذين أعطوا مجتمعهم الحس بالتوجه إلى بناء وطن ودولة ومجتمع لا مكان للتلفيق بينها ولا لمرأوغة التاريخ والجغرافيا. جعله الله الوهاب الكريم بين أقرانه على مستوى من الرقى الإنسانى مما يصعب على أصحاب الهم العالية أن يتسلقوا المرتقى الذى وصل إليه.

مرة أخرى، وفي هذا الإطار، لن تكون رابطة آل الزين، التى أسسها العام ١٩٦١ سوى "تواة" ستتخذ من النقاش الثقافى والاجتماعى والسياسى مجالاً لبلورة المنطلقات والمبادرات التاريخية التى تدفقت من ينباع مختلفة: من عمائم آل الزين ومن شيوخهم، من بيوتهم الدينية، ومن رجال فكر لم يكونوا بعيدين عن الأزمنة التى تشكلت فيها رابطات ونوادٍ لصياغة تيارات ذات بعد وطنى وقومى. وذات الآثار العملية والنضالية.

دور الميليشيات الطاعى

كانت هذه الروابط والنوادي، ومعها الجمعيات الثقافية والسياسية، أرضية أنبتت عليها أسس العمل الوطنى بعيداً عن التقوقع والانعزال، ومصنعاً لإنتاج شخصيات لعبت أدوارها الفردية فى التاريخ، وكوادر صاغت برامجها فى الجغرافيا التى تواجدت على خريطتها.. ولم تتخذ شكل الأحزاب التقليدية حتى ولا شكل الأحزاب الإيديولوجية. وكل هذا حسب تفاوت مستوياتها ودرجة مفاعيلها.

وهكذا أصيب عبد المجيد الزين بالصدمة لدى رؤية الدور الطاعى للميليشيات والمستند إلى تفاصيل اجتماعية - طائفية - سياسية، داخل

تركيبة المجتمع اللبناني وعرف كيف يلعب بحساسيتها وتناقضاتها.

يومها قال متهمًا: لا ينجلي الاستئثار بالطوائف، في أبشع صوره إلى حين يدعي بأن ممارسته هي لعمل طائفي أفضل. إنه بذلك يشرع الانتهاكات والمخالفات بحجة فرض المطالب، في حين أنه يتبنى في الواقع لغة السلاح الكفيلة بدعم استئثاره وإدامته.

البنادق الطائفية

وعلى هذا الأساس، وطوال سنوات الغليان وانفجاراته المتلاحقة، كان سلوكه وخطابه السياسي قد تحرّسا لمقاومة هذا الطغيان، وبأشكاله المختلفة: إن للحروب الأهلية - وهذه كلمات له - تاريخاً موجعاً ومؤلماً في ذاكرة الوطن، فهي تحمل في طياتها طعم الدم الملوّث الذي انغمس فيه لبنان ومن دون أي ثمن سوى المزيد من إنتاج القبور (!) والمزيد من نثر الدم بين سطور التاريخ المضيء للبنان الأخضر.

أضف إلى ذلك أن الأداء التاريخي "للبنادق" الطائفية انطوى هو الآخر على صراع من أجل الاستئثار والمكاسب العامة على سطح تحولات أحلّت أساطيل عامت قبلها واستثمرت من تتطلي عليه خدعة الوصول إلى ما عرف بـ "تحسين أوضاع" (!!) وما يرتبط بها من ضرورة تصفية "أوضاع أخرى" بحيث يقتصر "التحسين" على طائفة من دون أخرى.

ولم ينجح عبد المجيد الزين إلى مثل هذه المسارات، بل بقي بعيداً عن هذه الرهانات منحازاً بالمطلق إلى الرهان على وطن يتحدر من تاريخ، كانت سمته الأولى والأخيرة: التسامح والحوار.

وكذا كانت عائلته.

وكذا أيضاً ستكون الرابطة التي أسسها العام ١٩٦١.

وهكذا صارت الرابطة هي النموذج، ولن يعرف شكله ومضمونه إلا
بالممارسة الحيوية التي جرى تكريسها بشخص عميدها: عبد المجيد
الزين.

الفصل السابع في التأطير والتأصيل

"لا فرق بين ازدهار الورود في الطبيعة
وازدهار الحضارات في التاريخ".

الفيلسوف الألماني هيرو

"لا أحد يبدأ من فراغ، وخلفنا تراث غني علينا أن نفهمه وأن نحمله
وأن نضيف إليه".. كانت هذه مداخلته في أحد اجتماعات الهيئة العامة
للرابطة وكان موضوع الاجتماع هو: الاستنهاض ودور الشباب فيه.

في السياق هذا كان عبد المجيد الزين يؤمن إيماناً راسخاً بأن لا
شيء يمكن أن يتطور من تلقاء نفسه، أو يمكن أن ينهض هكذا في صورة
عشوائية أو حتى آلية.

"أبداً - يضيف هو - لن ينتج شيء من الاتكالية ولن يولد شيء من
النيات المكتومة. فكل واحد منكم عليه أن يخرج من ذهنه أفكاره وتطلعاته
ليجعل منها سيرورة يحركها ويرسم آفاقها سؤالنا الدائم عن أي مستقبل
نريد لأولادنا على وجه التحديد؟".

وعلى هذا الأساس استطاع أن يبقي جذوة الأمل حية وخصبة على
حد سواء، وكانت هذه الجذوة تتوهج أكثر فأكثر كلما قام بجولاته الميدانية
ليلتقي أفراد العائلة وهم في مواقع تجمعاتهم القروية.

"يتوهم - يزيد مستطرداً - كل من يعتقد بأن العمل المقطع الأوصال، يمكن أن يؤدي إلى نتيجة، والأفراد الذين يتنكرون لعائلتهم هم في الوقت ذاته من يتنكرون لمجتمعهم".

إن فكرته عن تدرج العمل الوطني العام، الذي يبدأ من الفرد إلى الأسرة ومن الأسرة إلى العائلة ومنها إلى المجتمع ككل، إنما كانت جوابه الخلاّق عن السؤال الذي يطرح إشكالية الموقع والدور.

افتحوا عقولكم

"وأنتم تقرؤون كل يوم عما يحدث من تحولات ومتغيرات عالمية كبرى، فلا أظنكم تجهلون أن ذلك يتطلب منا تفتحاً ذهنياً لأجيالنا، يجعلهم أشد مناعة من كل متغير له طابع تحطيمي لتراثنا ولقيمنا وحضارتنا وأقوى في المواجهة المفهومية لما هو استبداد ثقافي خصوصاً أن العبودية العقلية، بما تنطوي عليه من استلابات، أكثر فتكاً وبما لا يقاس من العبودية الإقطاعية أو السياسية".

كانت هذه أيضاً إحدى مداخلته، حول ما يجب أن تقوم به الرابطة من أنشطة ثقافية وفكرية. لقد كان التزود المفهومي للذهنيات التي تدور في فلك الرابطة ومن يرتبط مع قيادتها في المجال السياسي والاجتماعي، هو هاجسه الكثيف، بل هو الحافز الذي جعله يصر على وجوب تنظيم لقاءات ومحاضرات وندوات في مركز الرابطة، وعلى سحب أكبر عدد ممن يستجيب لاقتراحه في حضور المحاضرات والندوات خارجها.

والحقيقة والتاريخ، كان هناك اتساق في نشاطه بين ما يريده لأبناء عائلته وبين ما يريده للآخرين.

"ما دمنا جزءاً من هذا المجتمع فلا يصح أن ننشط من داخل حواجز، فهذه الأخيرة لن تكون إلا بين الوعي والجهل، بين النمو والتخلف، ولذا فإن التقدم الذي ننشده، إنما يجب أن ينطوي على مفهوم للتقدم نريده لمجتمعنا ككل. وإن كان ثمة شيء يميزنا، فهو أننا نحن وأكثر من غيرنا نرى أن لا أمل لتلبية تطلعاتنا إلا في نهوضه، وهذه علاقة ارتباط متبادل لا يصنعها الانغلاق وإنما تصنعها حتمية الانتماء إلى هذا البلد".

إفطارات رمضانية

وكانت أول خطوة على هذا الطريق هي دعوته في كل عام، إلى تنظيم لقاء إفطار رمضاني بين كل أفراد العائلة، وبين أوسع عدد من الفعاليات اللبنانية بتتبعاتها الدينية والجغرافية والسياسية.

لقد كان اللقاء الرمضاني السنوي مناسبة لبلورة هدف أخلاقي - وطني يعطي شعوراً بالتوجه إلى مستقبل تملأه آمال حقيقية، للانصهار.

كذلك، كان تأكيداً منه، على أن التشرب بالروح الدينية هو الشرط التاريخي لوحدة مجتمع ينهض على الانفتاح وليس على التقوقع، على حوار لا يصنع في الخارج، وإنما في الداخل. على وحدانية يسبر غورها، ويتم إدراك كنهها العميق، لكي يستخرج منها النهج الوطني الذي لا مفر منه.

مفكرات وطنية

وفي مفكرته اليومية، يصك هذه القضية كمهمة تتقدم على غيرها من المهمات التي يراها واجباً على بيت الزين: "واجب" العمل على وضع المسألة الوطنية موضع التطبيق المنهجي - الميداني - اليومي. وإذا كانت هذه هي إحدى "القضايا المحورية" التي يراها الأكثر أهمية لإغناء التاريخ السياسي للعائلة، فإن على الرابطة أن تحرز قصب السبق في ميدان

الانصهار الوطني، ومضاعفة الجهود من أجله لتعميقه، والارتقاء به إلى مصاف الواجب المقدس.

وفي مفكرة أخرى يعود تاريخها لتلك السنة من سنوات الحرب الأهلية في لبنان - وكان يومها في رحلة إلى جزيرة قبرص - يكتب متأملاً ما آلت إليه "أحوال الوطن والدولة والمجتمع": إن الساعة الآن هي ساعة لنبذ الأنانيات، الفردية منها والجماعية - (وكان يقصد بالجماعية التشكيلات المذهبية والحزبية والمناطقية). وإنه في اللحظات التاريخية خصوصاً حينما يتهدد مجتمع بكامله بالتمزق، إن لم يكن بالتبدد والانحلال، فإن حقيقة الانتماء إلى وطن ودولة ومجتمع تحتاج إلى برهان للمصادقية السياسية. فإن أية قوى مهما بلغ نفوذها ومهما اتسع حجم قوتها، ستبقى قوة عمياء إذا لم تتبصر، وإذا لم تكبح جموحها السياسي المبني على بعد واحد يفتقر للشرط الديموقراطي، ولا يصل أبداً إلى هدفه بغير المزيد من الدماء والدمار".

ويكتب مضيفاً: "بإمكاننا إذا ما تجردنا من مصالحنا الضيقة أن نقيم لهذا الوطن دولة فعلية، لا تكون مقوماتها مبنية على مجتمع متصدع، ولا يكون دورها في تحقيق عمليات الانصهار مجرد خطابات أو شعارات. ومن الثابت أن التجذير الوطني يشترط القضاء على التصدعات الموجودة بين هذه أو تلك من الطوائف، وبين هذا أو ذاك من الأحزاب.. إن دفعات الانصهار لا تزخم بغير العلاقة العضوية بين المجتمع والدولة، لا بين فريق أول وفريق ثان، بل بين مواطنين مؤمنين بصيغة وطن للجميع، والترابط بين شرائحه على أساس ترسيخه هو وحده الذي يعطي سرعة في ظهور دولة جديدة: تدرس وتخطط وتضع استراتيجيات، وتأخذ في الاعتبار هدفاً من كل هذا المواطن بصفته المعنوية".

دولة المؤسسات

وزيادة في التأسيس، يكتب في الموضوع إياه، متدرجاً هذه المرة إلى الوطنية كمفهوم ومعيّار: "لن يكفي أبداً أن تكتفي الدولة بإخضاع المواطن لقوانين الأمن العام، أو لمقاييس الأحوال الشخصية.. هناك دروب من الميادين لصنع مواطن يُخضع حياته هو لمصلحة الوطن. إن المواطنة ليست مجرد "تذكرة نفوس" ولا "سجل عدلي" ومع أنه لا حرية من دون نظام ولا عدالة من غير قانون، فإن المواطنة تحتاج إلى تجهيز وإعداد في مجالات متعددة: في التربية المدنية والتدريس، في العمل والإنتاج، في الحقوق والواجبات في تهيئة مستلزمات الإبداع، وفي التنقيف والمعرفة".

"ونظراً لتعقيد العصر - يتابع عميد الرابطة - فلا بد في الأساس من أن تكون الدولة دولة مؤسسات وأن يكون للعلم موقعه الثابت في حركتها، هذا إذا شئنا أن يواكب المواطن التاريخ، وهو يسير على هذا القدر من السرعة والاندفاع".

وثمة عبارة كتبت على حدة: "إن التطور كأمواج البحر فهو لا ينتظر أحداً".

وأخرى مثلها كتبت على ورقة وحيدة: "ثمة "مصالحة" أصبحت ضرورية وملحة بعد الآن".

كان هذا هو اقتراحه على الهيئة الإدارية في أول اجتماع لها بعد نهاية الحرب اللبنانية. وعندما طرح عليه السؤال المتعلق بشكل هذه المصالحة ومضمونها، كان جوابه: "مصالحة كل واحد منا مع نفسه، مع ما يريده من هذه الرابطة، مع ما تريد فعله هي إزاء الوطن: لقد أصبح

كلاماً مبتدلاً أن يقال بأن الطائفية مرض، وبأن الوعي السياسي بخطرها قد تعاضم في عشر سنوات أكثر منه في أي وقت مضى. فماذا فعل في التربية، حتى يغنيها بحس الانتماء إلى وطن؟.. وماذا فعل في مؤسسات المجتمع المدني والتي نحن جزء منها لمواجهة هذه المشكلة المطروحة بكامل عموميتها؟".

مفارقات سياسية

ويضيف: "في الواقع هناك مفارقات كثيرة، المفارقة السياسية أن تكون الأحزاب والمؤسسات الأخرى بهذه الكثرة وتكون أكثريتها عاجزة. أن لا تستطيع هذه المنظمات أن تحرز سوى صرخات سلبية، وإلى الآن لم نسمع أو نقرأ أن منها من استطاع أن يطرح رؤية أو برنامجاً أو مساراً لبناء مستقبل وطني جديد.

"لقد وقف المجتمع اللبناني برمته ضد الحرب، وكانت هذه الوقفة قد وضعت القوى السياسية كلها موضع الاتهام. ومع ذلك في أول انتخابات جرت بعد نهاية الحرب، فإذا بالقوى التي أنتجت البغض الطائفي للحرب تفوز بنجاح كبير.

كذلك الأمر فإن "السلم الأهلي" قد وجد نفسه كحلم كبير، لا يملك أية آلية أو منظومة برامج في يقظته، حتى أية وسيلة لإخراجه من التكتّم إلى الواقع اليومي.

"وعلى الأساس هذا - يزيد مستفهماً - أليس من المنطقي أن نتساءل عن أسباب هذه الظاهرة المزدوجة؟ فمن ذا الذي بإمكانه والحالة هذه أن يصنع الصبغة التاريخية للخروج من هذا المناخ بل وإخراج الوطن نفسه من سموه؟".

بقائمة، كانت عائلة آل الزين
سبقت الاستقلال، وما بعده
رما تروى مرة بعد أخرى،
لياسية والفكرية والاجتماعية

لن، والأدوار الفكرية والثقافية
ع وطنيتها يستحيل أن يغيب
في كل لبنان، من أقصاه إلى

يوسف بك الزين قد اتسمت
في الدوام متجسدة في مواقف
جنوبيته على السطح إلا حين
ت تكتسب هي الأخرى بعداً
لحدد بوصفه رمزاً لنوع من
أن والإهمال، وإنصافها إنما
تمعه، في ما يخص الانتماء

يوسف بك الزين، بأن تنتظم
راء الفكرة التي تقول بوجود
بين الصيغة الجماعية للدفع

والتأثير العائلي والوطني على حد سواء. فثمة نمط أو ممارسة في المكان والزمان تصح مع الذات والآخرين، مع فكرة تعاضد يتقاسمها أفراد العائلة نساء ورجالاً، وفي دروب الحياة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية كلها. فأن تكون من أبناء العائلة، فهذا يعني أن تجد نفسك في بيئة تغذي فيك روح التعاون والقدرة على تحويل هذا التعاون إلى مبادئ وقيم وطنية، وفي الوقت نفسه تنفي أو تدمر كل ترسب قبائلي، أو انغلاقية. فالبيئة تلك توحد العائلة، ولكنها توحيها على مسار يتصف بوحدة أشمل.

وبعد انقضاء ما يقرب من ٤٢ عاماً على ظهورها الأول، تستمر الرابطة اليوم في أسر الخيال المعنوي والأخلاقي. فالناس الذين وجدوا أنفسهم في قلب بيئتها رأوا الفكرة وهي تتجسد بتاريخ وتقاليد وتراث، وبأنها قد طورت علاقات تعود في أساسها وجذورها إلى عميمها وحده.

من أيام الرسول (ص) إلى بني عثمان

أملاً في الإمساك بشيء محدد، يمكننا القول أن الحقبة الأولى في تاريخ العائلة تمتد من أيام الرسول (ص) حين كان كل فرد يتلمس طريقه من خلال مرجعية مركزية فهو بالكاد يعرف معنى المجتمع الحديث الذي يمكن أن يجد فيه دائرة من قد يشاركونهم أفكارهم وتطلعاتهم، وهمومهم وآمالهم.

أما الحقبة الثانية فتمتد من الربع الأول من القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين. وقد تزامنت مع المد الثوري الكبير في القرن التاسع عشر، إذ يبرز فجأة وفي صورة دراماتيكية على المسرح بطل قومي عظيم، تقاسم الشعور مع العرب في وجوب مقاومة الأتراك. وقام في مواجهة ميدانية مع الجزائر نفسه. وكان هذا أيضاً في زمن استولد

هبات فلسفية في جميع ميادين الحياة الدينية والعلمانية، وقد برزت شخصيات دينية وفكرية تقاسمت هي الأخرى أفكار الحداثة والنهضة والشعور بالانتماء القومي.

أما في ستينيات القرن العشرين، حين نصل إلى الحقبة الثالثة، فإن العائلة تتسع لتصبح داخل رابطة شاملة أفرادها كلهم تقريباً.

عبد المجيد الزين "يضبط" السياسة

إذا كان هناك دور للفرد في التاريخ، نموذجي في السياسة والأخلاق، فإن ذلك الدور هو دور عبد المجيد بيك الزين. فالضابط في سلاح الفرسان هو أول من قام بتأطير العائلة في دائرة استقطابية تقوم على تحريك نقطة داخلها، ترسم حولها دوائر متواترة تستند إلى رابطة وإلى ديموقراطية المشاركة في توجهاتها ومناشطها السياسية والاجتماعية.

وكما عرفه الجميع، فإن عبد المجيد الزين الضابط كان شديد الانضباط، حتى أن الكثير من نجاح الرابطة نبع من عوامل تخص حياته المسلكية والأخلاقية الخاصة. وكان جزء لا يستهان باتساعه من الخدمات يتأتى من استجابته الفورية والعملية لمعالجة المشاكل التي يعاني منها أفراد العائلة وبالتالي الفئات الأكثر فقراً وحرماناً.

ولقد أذهل الجميع، من هم في الرابطة ومن هم خارجها، حين التزم قضية الناس من دون تفريق. لقد عاش عبد المجيد بيك الزين في موقعه السياسي والعائلي بوصفه موقعاً معاكساً للظلم والضعف والحرمان.

وإذا ما أردنا التعرف إلى الإيقاعات والنبرات المميزة لهذا الموقع، فإن الشهادات التي أطلقها البعض ممن عرفه كفيلة بأن تفضي إلى

استخلاصات توفر مجالاً واسعاً لتفتيح الذهن حول ما كان يمثل في الحياة الوطنية والسياسية والشعبية عامة.

وهكذا نستطيع أن نسبر عمق حسّه الإنساني وغناه، ونعي أشكال الوحدة الوطنية التي تزخر بتنوعها الوطني والاجتماعي. فمن جهة برزت إلى الحياة الشعبية شخصية سياسية لم يسبق لأي منخرط في الشأن العام أن تلمس مثل التزامها الدائب بقضايا الناس اليومية. ومن جهة ثانية ثمة ما يؤكد أن مواقف وطنية سياسية ذات قدرة راسخة راحت تحرك العمل الإنساني - الاجتماعي وتعمل على إخصابه من خلال مساهمة منه، جعلته في روابط ولجان، يعمل أكثر من طاقته.

بيروت الستينيات

كانت الستينيات في مدينة بيروت سني تأسيس لضابط تكمن في أعماقه نزعة سياسية متأصلة. فالمدينة الحية الآهلة بسكانها النصف مليون نسمة، كانت في حالة انتعاش ديموقراطي. ولاتصالها مع تيارات إيديولوجية متنوعة في بعدها الوطني والقومي والعالمي، ومع ما تتصف به من صراع فكري، جعلت تكبر وتكبر لتصبح مساحة ثقافية تغطي سجلات أمة بكاملها.

وبيروت هذه لم تكن أرض النعاس (!) ولم تكن لتعرف اليوم الذي يرحل إليه المتعبون، كلما أرادوا أن ينفضوا عن يقظتها الصاخبة.

ولم يكن ثمة "راهب ترابي" بين كل الذين عاشوا فيها! نعم كان هناك عدد طيب من النهجيين، لم يسبق لأي عهد في التاريخ التكنوقراطي - السياسي للبنان أن احتك بمثله.

وكان هناك عدد آخر يتوق - وإن بيأس - إلى الإمساك بمعايير ثابتة للوطن والدولة والمجتمع.

وكانت هناك أيضاً "طبقة" من محترفين جدد، من أناس هم من "اختراع الزمن الفلسفي" مثلهم مثل الدرجة في الزمن الاستعراضي. فمن جهة برزت إلى الحياة اللبنانية قوى مؤدلجة ناشئة عن إفرازات حركة الصراع في العالم بين اليمين واليسار. ومن جهة ثانية برزت أعراض تشير إلى نوع من الانحطاط في التأطير الشعراطي، وبنوعية اللعب في التعبئة، فاقت أشكال الأيام الأولى من المرحلة التعبوية للنازية والفاشية بكثير.

وفي تلك الأيام بدا الأمر، كما لو أن كل شيء حامل نقيضه. إن أشكال التناقض والتنافر وألوان الفجور التعبوي هذه كانت تملأ العديد من المستهدفين. وإذا كان بعض هؤلاء قد أراد الخلاص من قلق الضياع والاستحواذ في سبيل الوصول إلى يقين ذهني - وجداني، وإذا كان البعض الآخر قد حاول أن يوازن التزامه بنوع من التمايز الجديد، إلا أن الأكثرية وقعت في خطأ فهم الروح الماكرة التي استمرت في طبع كل هذه التطلعات والاختلاجات بالتناقض. إن منظمات ومؤسسات ومجالس ذات قدرة مادية - تنظيمية عملت على اختزال العمل الوطني إلى عمل استحواذي. وبدلاً من إخصابهن باتت تعمل على تجزئته.

رؤى مستقبلية

هنا، وفي ظل الحيرة، وفقدان اليقين الذي لم يكن إلا نوعاً من الفوضى والسديم، نتعرف إلى جانب من شخصية عبد المجيد الزين، حيث تدفق طاقته وفيضانها على حد سواء:

"لا بد من أن نقطع شوطاً كي نلتئم تصدعاتنا. بداية يجب أن نقوم بتوسيع حقيقي لمدى المشاركة الفردية لتكون لشبابنا القدرة على عيش الموجات الفكرية بطريقة واعية. وإن التخلي عن هذه المسؤولية أو هذا الواجب، إنما هو التخلي عن أبوتنا، فما الذي سيجري لكل أولادنا إذا ما تركوا للموجات ذات الطابع التخطيمي أن تجرفهم إلى الهاوية؟.. سوف لن تظهر حياتهم في أي من زوايا الصورة المستقبلية".

"وحتى عندما تكون الشعارات والياфطات والخطابات قد امتلكت أرواحاً، فإن السموم الفتاكة، تلك العوازل المعطلة للحوار حول الأبعاد الإنسانية المتنوعة سوف تلتهم أرواحهم وسوف تحولهم إلى نوع من تجارب باهظة الثمن، بل سوف ينطفئون وهم مكفون بالخيوط التي نسجوا منها تحزبهم الأعمى".

بمثل هذا الإيقاع، اندفع يومها إلى استنهاض ما نطلق عليه نحن اسم: رابطة.

رابطة لصالح وعي وطني قومي عام، حيث شرط التنوع في انتماءات أفرادها سيسبغها بطابع التعدد والانسجام الجماعيين.

كانت الرابطة بالنسبة إليه إطاراً نموذجياً ينبغي لأفراده رجالاً ونساء أن يكرسوه كمثال يحتذى في الحياة الاجتماعية العامة، كفكرة ترمي إلى إظهار مدى أهمية المبادرة والمشاركة الإنسانية في الحياة الوطنية.

إن لا وجود لأي قفص حديدي، كما كان يقول بزيادة لا حاسمة ولا قاطعة، وكنا جميعاً نؤمن بأن العميد يضمّر في داخله أن تتقاسم هذه الرابطة جملة من الأفكار والتطلعات مع روابط اجتماعية - عائلية أخرى.

لذا فإننا كنا ونحن غارقون في إطارنا الوحيد، قادرين على تصور نسق مفتوح على بيئات لم يتم صوغها وفقاً لألعاب نمطية مألوفة في ميادين السياسة الانتهازية، أي وفقاً لأشكال من أطر بلا أرواح، بلا مشاركة، بلا غايات.. أطر مجردة من الحرية الداخلية أو حتى الكرامة، ولا تفرخ سوى أفراد من الممسوخين، المتمسكين بالخواء الأخلاقي الذي يحتاج له اللاعب بمواقفهم وأدوارهم. وهكذا قلما كان عميد الرابطة يؤمن بصيغ يكون الناس فيها قد غُيبوا عن مسرحها. لقد كانت فكرته عن الانتظام ديموقراطية محصنة باستمرار. وفي المداخلات والتلميحات العائلية الصادرة عنه، نجد وجهة نظره هذه متواترة في كل ما كان يتناوله من موضوعات وقضايا.

مرجعيات فكرية

وفي سبيل ذلك سلك طريق السجال حول القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية وذات الصفة النوعية والمطروحة في التداول الفكري. وفي هذا الجانب فإن فعاليات العائلة الفكرية والثقافية قامت بتأطير هذا البعد في حلقات منتظمة: حلقات ربّت شرائح متنوعة من المجتمع اللبناني على طرح الأسئلة الجريئة، وعلى كشف الشك المنهجي من دون التباس أو غموض، وعلى الإصغاء بعد السمع، وعلى التبصر بعد النظر وعلى الكيفية الذهنية التي يتم بموجبها استبقاء وضوح الرؤية في العقل إزاء ما هو مطروح للنقاش، حتى في الجانب المتصل بالدين نفسه.

وهذا الطريق كان قد أفصح عن مداه في الدور الذي مارسه الكاتب المفكر الحاج سميح عاطف الزين، والذي يدين له عدد لا يستهان به من أفراد آل الزين وسواهم، ممن أفادوا من عمق تفكيره ووضوحه ومن

سخائه في الوقت والمثابرة.

وكان الدكتور حسن الزين، ابن المؤرخ الشهير المرحوم الشيخ علي الزين، ابن الشيخ عبد الكريم قد قام بين محاضرة وأخرى، بتزويد أبناء العائلة وآخرين مما لديه من معرفة ورؤى. وكذلك فإن الشيخين الفاضلين: محمد خليل الزين، وعبد الحليم حسين الزين. كانا قد أضفيا على العائلة طابعاً تميز بارتقائه إلى مصاف الحوزة التي أنجبت مرجعيات دينية، قامت وتقوم بدور تثقيفي أغنى - وبما لا يقاس هنا - المفهومية العميقة، مثلما أغنى المفتي عبد الحليم الزين مفهوم الذاكرة التاريخية، وقيمة الموسوعات والكتب والدوريات في البحث عن ينابيع تعطي للذهنيات المتعطشة فرصتها الكاملة للارتواء.

جنباً إلى جنب، فإن مجلة العرفان، التي أسسها في بداية القرن العشرين المناضل والكاتب الكبير الشيخ أحمد عارف الزين، كانت وما زالت تقوم بدورها في المجال الفكري. وإليها يعود الفضل في إثارة نصوص مطهرة من تخريب الغزو الثقافي.

وهكذا بدت تلك الطريق نهجاً لتحرير الثقافة والمعرفة من كل شائبة أو استلاب: لقد مالت إلى خلق أنموذج لعائلة، تكون هي نفسها مجردة من كل نرجسية أو ائتلاف. عائلة تتجاوز كل أشكال الحصر والقوقعة، وليس أمامها سوى أن تستمد نسغ الحياة الثقافية، من مشاركة ذهنياتها في البحث عن الأجوبة التي تثيرها تساؤلات العصر.

بين النبطية وجزین

إن بيت كفر رمان في محافظة لبنان الجنوبي مأوى كثيف لدلالاتٍ ورموزٍ ذات أبعاد تاريخية. هنا في موقعٍ بين قضاءين، النبطية وجزین،

ترقد ذكريات مثيرة. والطريق المؤدية إليه، هي التي تتابع مسارها إلى قري، ينتمي معظم سكانها إلى الديانة المسيحية. فإذا بالبيت يبدو كما لو أنه همزة وصل أعادت توحيد هوية عمل في أيام السلطنة العثمانية على بعثتها في إمارات لمقاولين (!). لقد جمع بيت كفر رمان بالعقل السياسي الذي كان يديره بين وجدانيين كادا أن يفترقا في لحظة تعثرٍ وطني.

أضف إلى ذلك، أن العقل السياسي هذا، إذ جمع بين الهوية والانتماء، بات قادراً على التأثير تأثيراً لبنانياً حاسماً في منبعي التحرك الوطني المركزيين. فالهوية باتت تنعكس في استقطاب سياسي هائل، إذ بات الانتماء يجذب إلى فكرة الوطن التي تشكل "حجر الزاوية" بالنسبة إلى عملية استقلال الدولة، ومن ثم الشروع في بناء دولة الاستقلال.

وكان أنه لدى اجتماعهما — الهوية والانتماء — أفضيا إلى دور تاريخي ممرّز حول وحدة الوطن، التي ستغدو السمة الأبرز لـ "بيت كفر رمان" وزعيمه السياسي المرحوم يوسف بيك الزين.

وهكذا فإن القرن العشرين أصبح في جزء من تاريخه السياسي الخاص قرن العائلة التي راحت تمعن التوغل في المستقبل، كما أمعنت توغلاً في التاريخ.

ليس هذا فقط، فما من أحد من ذوي الرؤى الدينية، كمشايع العائلة، والفكرية ككتابها ومؤرخيها ورؤساء تحرير منابرها النافذة في تلك الأزمنة إلا وقد انخرط في عمل جدي، يجعل مراسي الوطن راسخة، ومحصنة ومنيعة على الاستعمار والاستلاب تماماً.

على العموم، كان دور العائلة مفعماً بالتهنئة الذاتية، وكانت بيوتها الدينية والفكرية مشبعة بالإيمان والرضى إزاء الفعل الأخلاقي والثقافي

والسياسي. وكان بيت كفر رمان من بين هذه البيوت كلها مثقلاً بنشوة امتداح هذه الأدوار، والذي سيغدو أكثر تزايداً وانتشاراً... فيما خص عبد المجيد الزين بنشوة آمال كبيرة حول أن العائلة ستغدو ظاهرة حضارية معززة.

وما من أحد من آل الزين، إلا وراح يسترجع صدى هذا الإيمان بالواجب الوطني والحضاري. كان الإيمان بالموقع والدور على حد سواء راسخاً رسوخ الجبال.

إذن لم يكن بيت كفر رمان على قارعة الطريق، وإما كان في موقع ثابت على مسار يجب النظر إلى حركته بوصفها واحدة من تجليات الزعامات الكبرى مقرونة بصعود دروب العلم وارتقاء العائلات. وبات البيت بالذات هو البؤرة المركزية للحياة السياسية وللولاة العائلي. وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة كانت موجودة في كل محافظات لبنان، فإن بيت كفر رمان برز رداً على كدمات الزمن الطائفي وعلى ظهور الآلاف من الفقراء المحرومين، وعلى أشكال اللامساواة المواكبة للتعصب الطائفي، بل وعلى التميز المحتد حديثاً بالحقد المذهبي المتولد من هذه التراكمات.

الانشطارات الطائفية والحزبية

لقد أدت حروب القرن التاسع عشر الطائفية، وما أسفرت عنه من انهيار وتصدع في بنية المجتمع اللبناني، جنباً إلى جنب مع تطلعات المنظومة السياسية المحلية، إلى تحولات إيديولوجية وإفرازات اجتماعية حادة، وبالتالي إلى نمو تيارات غلفت مفهوم الوطن بـ "رسالة" مشحونة بالتعصب المذهبي، الذي أفضى بدوره إلى صعود أحزاب بنت قواعدها

على هذا الأساس، تستلهم برامجها وشعاراتها من هذه الروحية، سبيلاً إلى امتيازها السياسي.

وهكذا وبصورة حتمية، أسهم هذا النزوع الحاد في التوجه الطائفي في ولادة نزعة وطنية مناهضة لكل أشكال الانغلاق والتعصب، كما أنه عزز التوجه لرأي العديد من الزعامات السياسية، نحو الابتعاد عن تلك الأحزاب طلباً للإلهام التوحيدي، وبحثاً عن مواقع جديدة بممارسة العمل الديمقراطي الذي يوفر أرقى الطرق وأفضلها نوعية للتوصل إلى مجتمع مبني على الانصهار، وليس أمامه قضية سوى الحرية مع النظام والعدالة مع القانون، وإلى وجوب إسناد بناء الدولة إلى الدستور وحده.

وكان أن بيت كفر رمان بشخص قائده يوسف بيك الزين احتضن تلك النزعة الوطنية التي أصبحت هي المصدر الذي يلهمه ويوحى إليك وكنت تشعر وأنت في مجلسه بأنك في قلب الملاذ الوطني للبنان، حيث لا يكف عن الخفقان، وحيث لا ينطفئ سراج توقده.

من هنا ومن هذا المكان، فإن السيرة السياسية لبيت كفر رمان ستغدو مع نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أكثر اتساماً بالتركة التاريخية من جراء انتقالها بتلك الصورة المفاجئة لوفاة الزعيم يوسف بيك الزين. إن جثمانه الذي توارى أمام آلاف من الناس ومن جميع الطوائف في مدفن العائلة الخاص، سيخلي مكانه للشباب الذين، كل من موقعه ودوره، قد ساهموا في إعلاء شأن الوطن، وسيتولون إدارة البيت بما يمثله من استقطاب دائري لكل من آل الزين وأهل الجنوب والمجتمع اللبناني بكل مذاهبه وطوائفه.

ولهذا فقد غدا من المناسب طرح السؤال عما جرى للتركة

والممارسة اللتين بدتا خلال ستة عقود من القرن العشرين كما لو أنهما مؤسستان لمرتكزات المستقبل؟ ماذا فعل لتطويرها، وما هي المواقف التي كانت تغنيها وما هي الجهود التي تضافرت وأدت إلى ولادة حركة سياسية اتسمت بطابع الشمول بدءاً بالنبطية ومروراً بالزهراني ووصولاً إلى بيروت التي نشأت بوصفها مسارات تفرعت عن ذلك المسار الذي طرح الخلاص السياسي بتجريد مفهومه من أي تعصب طائفي؟

لم يعد الزمن كريماً، والوطن ذاته أضحى في سباق معه.

"إن الانشطارات الطائفية والمذهبية والحزبية، واجتياح العدو للبنان عام ١٩٨٢، والانفجار العسكري القاتل بين لبنانيين، واستبداد حركة التراجع المتواتر على الدولة وحضورها، بل وفرض التراجع على الناس إزاء حقهم في الاحتجاج، ووضع الحرب اللبنانية كلها موضع الاتهام والمساءلة جميعها تؤكد أن الوطن ينحدر بسرعة إلى كارثة شاملة، لن تكون أقل حدة من المآسي الكبرى التي قرأنا عنها في التاريخ.

لهذا فإن ثمة واجباً يطرح على كل فرد منا، واجب الخروج من هذا المصير، وواجب الشعور الذاتي بالمسؤولية التاريخية في وضع حر له. إن الأمر هنا يتعلق به موت أجيالنا أو استردادها من جديد، وبهذا المعنى فهي ليست بما يهم السياسيين وحدهم فما من مواطن في هذا البلد إلا ويجب أن يعنيه الموضوع".

كانت كلمته هذه في خريف العام ١٩٨٧ المزدوج: خريف الوطن، وخريف المواطن و"رجع الصدمة" التي تلاها احتلال الجنوب.

وما لبث بعد ذلك إلا أن وجد نفسه كمحرك لتاريخ جديد، في العائلة،

كما في كل الأوساط الشعبية التي وضعت ثقّتها بقيادته وبتمثّله لها. بدأ أولاً في جولة ميدانية على القرى التي تتواجد فيها عائلة الزين. وفي لقاءاته مع تجمعاتها كان همه الأول والأخير أن يستبقي وضوح الرؤية في عقولهم، حول المخاطر التي تواجه لبنان، ومن ثم حول ما يجب عمله لمواجهة هذه المخاطر إياها:

- أليس من الضروري أن نتساءل حول هذا المصير الذي يوضع وبشكل إذعاني أمام أولادنا؟
- فمن ذا الذي يمكنه في هذا الشطر من القرن العشرين أن يقبل باحتضار المستقبل حتى قبل وصولهم إليه؟
- وكيف والحالة هذه تصنع المبادرات الوطنية الضرورية لإخراجهم من هذا المأزق، وليس فقط لإنقاذهم هم، بل وإنقاذ البلاد بفتح آفاق مستقبلية أمامها؟
- وإن لم تكن العائلة المستندة إلى تاريخ مشرف ومضيء هي الأكثر شعوراً بالواجب، فمن تكون القوة الحية إذن؟
- ولم يكن ليترك أسئلته معلقة أو تائهة، وإنما غالباً ما كان يحض على صياغة أجوبة تكون من صنع الجميع.

جدية الالتزام والممارسة

إنها تعبئة أفراد العائلة، لكي لا تنمو خارج المسار الوطني الشعبي الذي كان يعمل على الدفع به إلى أعلى درجة من درجات التفعيل والتخصيب - إن طرح التعبئة على هذا النحو لم يكن ليعني تبني الصيغة التقليدية في عملية الاستقطاب، أو تبني العمل الحزبي أيّاً كانت وسائله.

وأيضاً لم يكن ليرضى بآلية لتعبئة تكون موضوعاتها قد صيغت، ويكون الناس المعنيون بها غائبين عن المشاركة. وإنما على العكس تماماً، فكل تركيزه إنما انصبّ على جعل كل فرد مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن تصوره أو اقتراحاته لكي يضمن جدية الالتزام والممارسة.

هنا بالضبط ثمة دالتان تبدوان ضروريتين لبلورة الروح التي مارس بها التعبئة:

- إن رفض عبد المجيد الزين تقنيات العمل الحزبي، قد انبنى من دون تفريق بين هذا وذاك من الأحزاب اللبنانية، ولم يكن في هذا الرفض أي شيء من النزعة المعادية لمفهوم التنظيم.
- كان سعيه مبنياً على خلق نموذج متوافق مع مقتضيات على مرحلة. كان يرى أن التعبئة المؤجلة إنما تكبح في الفرد رؤى متعددة الأبعاد يستطيع بموجبها الوصول إلى فهم شامل ينطوي على المغزى الموضوعي للمعالجة. ولا يشكل هذا السعي اتهاماً إيديولوجياً لأي من النظريات العقائدية الأخرى.
- كان يرى في التعبئة وفي مشاركة الناس في مناقشة عناوينها ما يخدم تحرر الإنسان من كل انغلاق ذهني، وما يحرره بحيث إن ما يريده لا يفرضه على آخرين. وفي الواقع ليس من الضروري أن يكون المرء مسيساً ليتأكد من أن فرض البعد الواحد هو جريمة تقترب ضد الديمقراطية وضد التنوع. حتى إن أحزاباً ذات توجه إيديولوجي مغلق قد أدركت أهمية سلامة هذا الأسلوب.

عودة إلى الشباب

في العودة إلى موضوع الأجيال وبالنسبة إلى طابع الشمول الذي اتسمت به، فقد تم تناولها في صورة شبه دائمة ومنتظمة. كان عبد المجيد بيك شغوفاً إلى حد الهوس بموضوع الكوادر، إذ كان يرى فيها البعد الكامل لفكرته عن الرابطة، بل وفكرته عن نشاط يضع المستقبل في سلم أولوياته. وفي الوقت ذاته لم يكن شمولها ليخفي عن أعينه ما فيها من تنوع عميق، فهي قصة تحمل في طياتها بعداً سياسياً وطنياً، كثيراً ما أفصح عن نفسه في مواقف وأنشطة وبرامج الحركة الطلابية في الثانويات والجامعات. وفي مجال آخر، فهي تحمل بعداً من أبعاد المجتمع الاستهلاكي، والآليات الاستبدادية التي ترافقه. وفي بُعد ثالث، فهي ظاهرة من ظواهر التمرد على كل الأشكال التقليدية.

"إن في ذلك ظواهر صحية وحيوية، وإن المنطق يملينا الاستفادة من طاقاتها، جنباً إلى جنب مع حرصنا على جعلها بمنأى عن القوى التي تميل لاستغلالها، فتجذبها إلى تيارات لا تلائم معتقداتنا ولا تتفق مع أخلاقيّاتنا ولا ينشأ عنها سوى الفوضى والبلبلة وظواهر العدوى الإلحادية".

على هذا كان تشديده.

على أن مبدأ الاستغلال السياسي، ونظام الاستقطاب الحزبي الذي يرافقه، هما اللذان يكوّنان عنده، جوهر المشكلة أو كنهها.

وفي الحقيقة، إن ما كان يظهر مكشوفاً، عارياً في وجه مرتكزات المجتمع اللبناني بصفته مجتمعاً عربياً ودينياً هو: الذاتية الغربية

والشيوعية في عصر التماثل الأعمى بالثقافات المستوردة. القاسم المشترك بين ما عرف بالثورات الثقافية في الصين، كما في أوروبا، والتمجيد المرافق له لبعض الرموز في حكايات البطل المرمري... وبين ما كان يحتذي به بعض اللبنانيين هو ما يثير التصدع في الكيانات الثقافية والحضارية الوطنية والقومية. وبدلاً من الاهتمام بالمبادرة التاريخية لإتمام النمو والتحديث في شخصية الذات لتلك الكيانات، فإن ما قد حصل هو النقيض تماماً.

وعلى هذا الأساس، كان عميد رابطة آل الزين يصرّ ويحض أسر العائلة على مشاركة أولادها في القرارات التي يتعلّق بها مستقبلهم. وكان ثمة إصرار آخر منه، على أن يُدمجوا في منظومة أنشطة وبرامجها، ويتم منحهم الحق في مناقشة معنى هذه الأنشطة وقيمتها وغاياتها.

يقول العميد:

"إن الأفكار والتطلعات المكتسبة من تحولات الهزيع الأخير من القرن العشرين ليست مجرد زيادة على كمية المعارف السابقة. إنها تكشف عن إشارات تدل على تبدل بنيوي في العلاقة مع المجتمع ومع فكرته عن الحياة والثقافة، وهي تكاد تقارب ما يمكن أن نسميه زمن القطيعة مع تقاليد وعادات وأفكار. وهذا الزمن، بسبب طبيعته التحطيمية، قد يهز طبيعة شبابنا من جذورها، ويدخلها رويداً رويداً في منظومة لشروط حياة أخرى، بل في دوامة لن ينتج منها في ظل الفروقات الاجتماعية المتعاضمة بيننا وبين الآخر، والتوترات المخيفة الناشئة عنها، سوى تمزقهم والقلق وضياح يقينهم. سوى الصراخ مع ما يرافقه من طنين. فهل سنعمل على استعادتهم أم نتركهم يعانون ما يعانونه ونحن

غارقون في سلبياتنا؟

إن لسؤالي هذا أساساً معنوياً ومادياً سواء بسواء.

إن قليلاً من الدفء يبعد عنهم الاغتراب، وإن كثيراً من المشاركة يعيدهم إلينا".

إلى هنا لم تكن قضية الشباب إلا في بداياتها.

إن كانت تقنيات حرب الثقافة والتثاقف، التي ميزت العقود الأخيرة من القرن الماضي قد اتجهت إلى سحق ذاتية كل ثقافة محلية، فإن تقنيات العولمة في نهايات القرن، بدأت تكشف عن بواذر شروط جديدة للتعامل مع مفاهيم تشكل ركناً تستند إليه المجتمعات: الهوية. السيادة. الثقافة. الحضارة. وهي كلها لو أخذت مداها فسوف تنشئ مقومات أو عناصر لانفجارات متواترة في الذاتية الوطنية والقومية.

وهكذا، انطلاقاً من اللحظة التي بدأ يظهر فيها الجيل الصاعد، إذا ما نُظر إليه مستقلاً عن كل ماضٍ، وديني، وحضاري ومن وجهة نظر قوة الاستقطاب العالمي في دائرة السوق، فسيكون أكثر مردودية أو عائدية. إن التحول الذي أحدثه العميد في مسار الرابطة، بصفته جزءاً من مسار وطني يعكس فكرته عن الهوية والمعتقد والسيادة، انطلق من وضعه في شرط الوعي بهذه المشكلة موضع الحوار الأساسي حولها.

وكان برأيه أن أول خطوة نوعية في هذا الاتجاه لا يمكن إتمامها إلا بالاستيعاب، وبالاحتضان، وبجعل العائدية تصب في مصلحة الوطن.

ولكي يقع ذلك في موقع التنفيذ الفعلي، يكون البدء بأنفسنا. بـ "إحياء الدور المزدوج للعائلة" حيث يكون ما نفعله هو دائماً ما تمليه مصلحة

الوطن. وبـ "أن هذا كله يبدأ بالتحصين". وبـ "أن التحصين لا يكون من غير إيمان وعلم". وبـ "أن التحول في الإنسان قد هيا التحول بالإنسان". وكانت مقولته الأخيرة هي الأهم في نظرته الكلية للأجيال.

لبنان والقرية الكونية

كان لبنان الآخذ لتوه في الدخول إلى عالم الأدمغة الإلكترونية، وإلى الإنترنت، والمنفتح حديثاً على القرية الكونية من خلال شبكة ومنظومة اتصالاته الفضائية محلياً وعربياً ودولياً، قد بدأ يواجه تغييراً في تصور شببيته عن العالم. وكان ثمة نهج علمي جديد للدرس والتنقيف قد بدأ هو الآخر في النشوء.

وخلافاً لكل فرضية تنبأت بأن يكون جيل ما بعد الحرب الأهلية جيلاً منكفئاً أو مصاباً بالنكوص، جاءت الأيام لتؤكد أنه لا يمكن صنع مستقبل جدي بدون هذا الإنسان الذي يتقدم بحيويته وانخراطه وطموحه كل واقع آخر. ومن هنا بالذات بات معترفاً به في "الجهاز الاستثماري" للمردودية اللاحقة.

أما أن هذا الإنسان قد أصبح أكثر فأكثر كياناً مسياً في صورة مباشرة، فهذا ما أثبتته التعبير عن الرأي الآخذ في النمو والانتساع.

في ما بعد هذه البداية، أخذت فكرته تلك تتعكس في كل اهتماماته الأخرى، فإذا بدعوته إلى الشباب تصبح عنصراً مركزياً في جدول أعماله. ومن المفارقات أن دعوته كانت تسبق دعوتهم وبدلاً من أن يتبعوه كان يشدد على استقلاليتهم في إطار خصوصية متبادلة بين جيلين.

تصالح الأجيال

"هذا التبادل بيننا نحن وبين الشباب سيؤدي بالضرورة إلى سلسلة من النتائج، وإلى نتائج ديموقراطية أولاً وأخيراً". قال هذا عميد الرابطة في اجتماع للهيئة الإدارية ثم أضاف:

"وهنا لا بد من تجنب السقوط في محذورين:

المحذور الأول يقوم على فكرة أننا نواجه مع شبابنا انقطاعاً اجتماعياً وذهنياً. ومع إقرارى بوجود تفاوت لا يستهان بفروقاته التاريخية، جنباً إلى جنب مع فروقاته التعليمية، فإن المبادئ التي قامت عليها فكرة الرابطة لا تزال تحدد سمات العلاقة العائلية في جوهرها. وما يصح في هذا المجال يصح في مجالات أوسع، بما فيها فضاءات المجتمع اللبناني، حيث يرفض الجيل الجديد أن تقدم له أشكال الأنشطة المنظمة كمعطى ثابت، إلا أنه وهو يقبلها يعمل على تخصيصها برؤيته الجديدة للأمور. وفي الغالب، سرعان ما نجده يعترف بالكثير من القيم ذات البعد الديني والأخلاقي.

المحذور الثاني يقوم على فكرة أن وجود الشباب سينعكس سلباً على روحية الرابطة والبنية التنظيمية التي أسست عليها برامجها وطموحاتها. والحقيقة هي أنه علينا أن نواجه بجرأة سلسلة من المتغيرات المتعاقبة دورياً، فلا توجد أبداً روحية قابلة للحياة، من دون خفقان، من دون فتح مجالها على إمكانات حيوية. وعندما نعمن النظر في هذا الموضوع سننلمس الحقيقة التالية: إن الحقائق والعقلية المسؤولة، والأفعال هي التي تقطع في هذا الموضوع. وفي كل الأحوال ليس من ضمانة لسيروية الديموقراطية في الرابطة - كما في الوطن حسب ما كان يضمّر كلامه -

بغير التعدد في صياغته لبرامج هادفة.

ولكن بالنظر إلى الحدود التي تفرضها حقيقة أن الرابطة هي لعائلة، فإن أفكاره هذه لم يكتب لها الانتشار في الاتجاه العام للمجتمع اللبناني. ومع هذا فإنها كانت قد كونت نمطاً جديداً للعمل المنتظم في إطار مؤسساتي.

وهنا، في هذا السياق، يمكن المرء أن يتصور حجم الخسارة من عدم وجوده داخل الندوة النيابية، وفي وقت كان فيه الزمن الوطني يئن من النقص الفادح في عدد الرجال الذين يؤمنون بأن الأجيال من حقها وضع السلطة موضع الاتهام والمساءلة.

والتحولات الأخيرة تؤيد هذا التصور:

إن المتغيرات العالمية كانت تتطلب أشكالاً جديدة من الممارسات السياسية، بل ومن الإدارة القادرة على مواكبة التبدلات السريعة في حركة المجتمعات. وإن ما كان يبدو أكثر مردودية منذ عقود، كانت تسود فيها التعاليم النمطية للتدريس والإنتاج، للتنمية والنهوض، للأمن والأمان، للنضامن والضمان.. فسرعان ما ظهر عقمه وخموده إزاء ما يقتضي ربطه مع تحولات مشروطة بتكدس راس مال بشري مستوحى من تصورٍ للدولة التنموية ذات النمط الديمقراطي الصحيح، حيث يكون مصدر التحريك وفقاً لهيكلية من المؤسسات، وتبعاً لمنظومة من القوانين، بدلاً من أن يكون تبعاً لشخص واحد يقوم هو في النهاية باتخاذ القرار نيابة عن الجميع، ومستوحى أيضاً من خط وبرامج، تستدعي دائماً مزيداً من المراجعة والتقويم. وهو ما يقتضي مشاركة فعالة من الكوادر، متضمنة المبادرات القادرة على الابتكار كي تتبادل التأثير الإيجابي في صورة مركزة.

الفصل الثامن لو كانت الفقر رجلاً لقتلته

قضاء حوائج الناس

قال رسول الله (ص): "إن لله رجالاً اختصهم لقضاء حوائج الناس، يفزع الناس إليهم لقضاء حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله يوم القيامة".

إن عبد المجيد الزين هو - إن شاء الله - أحد هؤلاء الذين أتى على ذكرهم رسول الله (ص) يقوم بخدمة المحتاج إيماناً لا تكلفاً. ومن سماته الأصلية التي تدل على ما ذكرناه هو أنك إذا رأيته يوماً منشراح الصدر مبتسم الثغر، فاعلم أنه قد قضى حاجة لإنسان ملهوف. ومن سماته أنه إذا فزع إليه مظلوم لم يعذه أو يرجئه إلى غد، بل يأخذه بيده ويسعى معه لرفع الظلم عنه عملاً بوصية الإمام علي عليه السلام عندما وصّى ولديه الحسن والحسين سلام الله عليهما بقوله: كونا للمظلوم عوناً وللظالم خصماً.

رحمك الله يا أبا ماجد، كنت للمظلوم عوناً.

"لو كان الفقر رجلاً لَقُتِلَتْهُ"

من الضاحية الشرقية، إلى الضاحية الجنوبية، ومنهما إلى المسلخ ومرفأ بيروت وبعد ذلك إلى الأوزاعي وأسواق الخضار، فإن قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كان يستبد في عاطفته وعقله: لو كان الفقر رجلاً لَقُتِلَتْهُ.

وهكذا دأب على ملاحقة الفقر ومقاومة أسبابه بكل ما أتيح له من وسائل: "لا، أبداً، ليس عمال هذا البلد وفقراؤه نكرة كي يعاملوا كما لو أنهم أشياء... كي يجردوا من حقوقهم... كي تطمس ذاتيتهم الاجتماعية والإنسانية".

كان عميد الرابطة يحمل صرخته هذه، في جولاته على العمال والفقراء، وكانوا بدورهم يسترجعون صداها في صناديق الاقتراع.

وفي بيوتهم - حيث كان يتجمع في كل بيت ما يملأ قاعة بكاملها - كان يحضهم على العيش في نسق آخر: على مقاومة الاستسلام والإذعان للنتائج التي تسفر عنها حاجات مكتومة. على المبادرات الأبوية للإيفاء بحاجة الأبناء للتعليم والتعلم. على إشغال أوقات الفراغ بما فيه معنى وفائدة. على تفتح عقولهم إزاء الحقوق التي تستحق لهم. على ألا تكون علاقتهم مع الوطن سلبية لأن الظالم ليس الوطن، وإنما من يعوق تنفيذ تلك الحقوق أو يتجاهلها. على المناقبية والتسامح والتسلح بالإيمان. على أن فيما عدا ذلك تصبح حركتهم مرممة "نسيباً" للتصدع النفسي، الناجم عن الإرهاق أو معوضاً هامشياً عن حق هو في أقل شروطه، يفرض الضمان الاجتماعي والصحي.

"إنكم لستم تسليّة، ومردوداً مؤقتاً، ولا وجوداً عارضاً. إنكم كتلة عقلية بإمكانها أن تسترد للوطن وجهاً إنسانياً يفتقر إلى طلته في الشأن الاجتماعي".

كانوا يجدون في كلامه تعويضاً إضافياً على حدود حياتهم اليومية الملأى بالضنى والهموم.

ولكنه لم يكن ليترك هذا "التعويض" عند هذا الحد: كان ثمة ما يضاعف أو يعكس اهتمامه بأولادهم.

هؤلاء الأولاد الذين كان الفقر، والعوز، يضاعف من جنون حرمانهم من أبسط مظاهر الحياة.. كان يسحقهم ويجردهم حتى أن يكونوا هم أنفسهم.

"في مناطق وعلى امتداد مساحة بيروت، غالباً ما توجد أرصفة تفصل بين عالمين - حدثنا العميد ذات مساء من أمسياته التي كان يخصصها من أجل تعزيز حسنا بالتوجه إلى مشكلة الفقر ثم تابع - نجد من جهة تلك العمارات الفخمة والنظيفة، والمزودة بوفرة الخدمات، ومن الجهة الأخرى نرى الأكواخ وهي تفيض بسكانها، كحالة سوداء، ويركض حولها صبية بلا أحذية، حفاة، ويشربون من براميل تتجمع فيها مياه الشفة في صورة "حنفية" يتسرب منها الماء وهو في طريقه إلى بيوت أخرى".

"في الحقيقة كيف يمكن أن يتجاوز هذان المشهدان في لوحة واحدة؟ كيف يمكن أن يقع العيش على خط فاصل بين الفقر المدقع وبين الترف؟ كيف نستطيع قبول هذا البؤس كما لو أنه سيبقى مدى الدهر؟".

وكانت كلماته تلك تنزل بثقلها الكلي على بؤبؤات عيونه دموعاً توشك أن تسقط قطرة قطرة.

ويعود إلى حديثه:

"إن هذا الواقع غريب، فهذه التجمعات المقتلعة من قراها نجدها تتوزع كما لو أنها جزر صغيرة، ويجري التعامل معها كما لو أنها كل حالة على حدة. أرخبيل النازحين من الجنوب وأرخبيل النازحين من الشمال، وأرخبيل النازحين من البقاع. وفي مدينة واحدة تتجمع أرخبيلات أخرى: حي السلم. المسلخ. برج حمود. حي اللجى. وجميعها مرادفة لحركة اقتلاع دائمة ومنظمة".

ويضيف عبد المجيد بيك: إن مشهد فلاحين مرتبطين بأرضهم، وحتى بقريتهم لم يعد مشهداً واقعياً. ولهذا فإن النزوح وهو على هذه الحركة لا يمكن التعويض عنه في المجال الزراعي والعمراني، وأيضاً ليس من إمكانية لترميم التصدع الوطني ونحن نرى أن مثل هذه الجزر هي التي تصنع اللاجئين في وطنه، فبعدما كان في قريته مواطناً ها هو الآن وقد أصبح أجنبياً (!) وفي الماضي، عندما كان يُحسب من النازحين، فإذا به يوشك أن يحسب من اللاجئين. أولسنا والحالة هذه، كما لو أننا نعيش في وطن كل شيء فيه يضع الواحد في تناقض ونفور مع الآخر؟

وعندما سأله: أوليس النزوح هو في الأساس "رد فعل موافق" إذ إزاء ضعف البنى التحتية، وقلة الخدمات الصحية والتعليمية، وظروف العمالة السيئة كان لا بد من الهرب من هذا الواقع؟!

كان جوابه: فلماذا، بالأساس، كان هذا الواقع المرير؟ ومن ثم لماذا ترك إلى تداعياته القاتلة؟ فالمسألة هي فقدان توازن بالحقوق، وفقدان توازن بالنمو.. ولكن أخطر ما في النزوح هو طبيعته ومكوناته الاجتماعية، والتي هي أبعد، وبما لا يقاس من أن يسترد النازح ما يفقده

خدماتياً. إنه يتبادل العلاقة العكسية مع كل شيء في مقومات الوطن. يتسع هو في المدن، ويدخل إليه الاتساع اضطراباً، يورّمه ويعرضه للتشويه والاحتجاز. يلتقي المدن عند الضواحي، كما يلتقي اللاجئ الحدود، ولن ينتظم إلا في دائرة مغلقة. فإذا بالنزوح حينئذٍ عبارة عن "فخ قلاب"، يؤيد ما كان يجب أن يكون حالةً مؤقتة، يعيد إنتاج نفسه بنفسه، وهذه علامة بين علامات أخرى، تُظهر سيرورة التكيف مع وضع غير صحيح.

في جولاتي - يتابع - ما كان يثير ألمي وخوفي على حد سواء هو ذاك المشهد لناس يعيشون ليومهم فقط. وكان أكثر ما يلفت نظري هو هذا التعلق بالمرئيات المفتوحة على مدار الساعة: عنف متزايد، ومسلسلات بلا معنى، ومع ذلك فإن معظمهم كان يتابع مثل هذه المنظومة وهو ينظر إليها بحبة. كنت أشعر كما لو أن هنالك استمتاعاً بما هو نقيضهم، إن لم يكن مدمرهم، بما يمثل العيش في شقوق الحياة الواقعية، وبما يجعلهم يحتقرون منابت جذورهم الريفية. ومقابل ماذا؟.. مقابل بطالة مقنعة واستعداد لفعل أي شيء للدخول إلى رفاهة شحيحة. وفي بعض الأماكن كنت أرى الناس وهي تتحدد بصيغة التبعية، وليس بأصلها، وكنت ألاحظ فضلاً عن ذلك تفضيلاً للاستسلام مصحوباً باستحالة غرائزية لتأجيل الاستهلاك إلى الغد، و.. وحساً دينياً وأخلاقياً يقوم على أساس مقاومة الإماءات الشيطانية.

في مداخلات العميد هذه، يكون الحس بالفقراء قد أكمل صورته الإنسانية والسياسية.

وخلف عمق الأخطار حول أوضاعهم، يتضح جلاء نيابته النبيلة.

الموت والحياة

ما أكبر هذا الثراء في تركة ما بعد الموت!

لقد كان القرآن الكريم محور حياته من أولها إلى آخرها.

ولقد امتزجت في هذا المحور فكرته عن الحياة والموت.

لم تكن مزرعته "أرض الغوامض البعيدة" التي يذهب إليها كلما أراد أن ينفض عنه غبار الواقع، بل كانت أيضاً مكاناً "خلوته" الروحية. صحيح أنها كانت أرضه ولكنه فيها كان يخاطب التراب، بلغة الحرث والبذور والحصاد، ومن ثم بلغة المكان الذي سوف يعود إليه.

من التراب إذن كل الحياة. وإلى التراب النهاية.

وها نحن نسترجع صدى أيامه الأخيرة: أولاً وقبل أي شيء آخر قراءته للقرآن ليلاً ونهاراً.

دخلنا إليه حيث كان يعالج، فإذا هو مستسلماً لمشئئة الله سبحانه وتعالى: مبتسماً - كعادته - متفقداً أولاده كدأب أبوته، سائلاً عن أبناء عمومته كسيرته في العلاقة مع العائلة.

ويسأل: ما هي أحوال البلد؟.. ومع أنه لتوه قد أنهى قراءة الصحف والمجلات إلا أن فكرته عن وطنه لا تكتب بخبر أو بتحليل إخباري. كانت فكرة بحجم حلمه عن "عبقريّة المكان" تستطيع أن تقترح على العالم صيغة للتعايش طالما انتظرها طويلاً.

وها هي في عقله، حتى في لحظة الاحتضار الأخير، تبدو صارخة
كصرخة القرآن في مخاطبة الأديان كلها: "يا أهل الكتاب".

ياه... كيف كان لنا أن نستوعب مرة واحدة مغزى الزمن وهو يدور
دورته في النهار إلى الليل؟ كيف كان لنا أن نكون بمستوى التحدي، فنقبل
للبرودة ليلاً لا يشي بغير الهواجس والقلق؟

- هاجس القلق.

- والقلق على ما سيأتي بعده.

إلا أن كلماته كانت تعيدنا إلى لغة القدر.

ولأن القدر هو ما نؤمن به، كنا نودعه وقلوبنا مطمئنة بأن "من خلف
ما مات".

والآن، ها هو الموت قد أصبح حقيقة واقعة: لقد توفي العميد.

وفي دقيقة واحدة كنا وجهاً لوجه: عبد المجيد الزين وموته.

ما العمل؟.. فإذا السؤال تحدّ آخر.

إن البطل ينضم الآن إلى قافلة أجداده. كان هذا هو الجواب الحاسم
عن سؤال مقلق.

وباليقين الذي نؤمن به، انحنينا في خشوع للحظة التي يعبر فيها
العميد إلى جوار ربه.

بكينا.. نعم.

ولكن كان علينا ألا نجهر بدموعنا لأن الساعة هي ساعة البرهان
على الذي صنع دوره.

ولم يصنع الضعف.

ولم يكن في استطاعتنا أن نناكف ما صنعه: لا بالدموع ولا بالصراخ.

فقط كان الموقف يقتضي أن نواكب نعشه ونحن مفعمون بحبه وممتثلون بالتهنئة الذاتية لأنه كان هو القائد.

والآن هذا هو نعش القائد نسير به إلى مثواه الأخير.

وعلى الطريق من بيروت إلى بيت كفر رمان، مرت علينا ومضات أفعاله: فإذا هي ذلك النص الزمني الذي كان علينا طباعته.

ولكن قبل هذا كله.. كانت الدموع غزيرة.. وما بعد هذا الحزن كانت ثمة سلسلة من دلالات كثيفة المغزى:

- لم يتخلف أحد من مناصريه "بمظنة" تغير التمثيل الانتخابي.
- لم يكن صمت الناس أخرس وإنما همهمات راحت تسمع من فم إلى فم وكلها كانت تتصل بحجم الفاجعة.
- الجنازة نفسها، من بيروت إلى كفر رمان، كانت جليلة، خصوصاً عندما تدافع الناس عند المداخل حيث حملوا نعشه وساروا به كما لو أنهم يتمسكون ببقائه.
- ولقد بدا أن تلك الفسحة من البيت إلى مقبرة العائلة هي بحجم كل العيون التي رانت إليه وكأنها تريد أن تستبقيه لمسافة زمنية أطول بكثير من ساحة الدار إلى القبر.

و... يدخل الجثمان وسط جلال الموت إلى مثواه الأخير. ولكن من

كان يصدق؟

وهكذا فإن ما كان لعميد رابطة آل الزين، سيرجع بعد الآن إلى التاريخ.

والتاريخ هو "الحي الوحيد" الذي يسكنه الأموات.

نودعه

وعلى طريق العودة كان الغسق متورداً

منساباً مع الشمس

متورداً وهو يغوص خلف الأفق

وإذا بأشعته المنعكسة من كفر رمان إلى بيروت توحى لنا أن الغسق سرعان ما سوف يعيد الشمس إلى إشعاعها المضيء.

عندها شعرنا جميعاً بأن من هذا الغسق سيولد بطل وريث.

والبطل الوريث لن تعوزه التركة، فهذه ما زالت تتجمع منذ أيام الرسول محمد (ص): "ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير إلى رحالهم وتعودوا برسول الله إلى رحالكم ولو أن الناس سلكت شعباً والأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار".

اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

وبهذا: رحمة عليك يا أبا ماجد

وليناصر بطلك الوريث دعوة رسول الله (ص) المستوحاة من

قرآنه.

الحِثَّاتِ

قال محمد الباقر عليه السلام:

"إن الإنسان بعد وفاته سيصير حديثاً، فكونوا حديثاً حسناً".

نشكر الله المنعم ونحمده على آلائه. إن المرحوم عبد المجيد الزين
صار حديثاً حسناً.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه.

الباب الثاني

العلماء والصُّوفِيَّةُ وَالْإِسْلَامُ

الفصل الأول شهادته وتكريمه

الكلمات التي أقيت في الحكمة

السفير أديب القنطار

بعد النشيد الوطني ألقى السفير القنطار كلمة جاء فيها:

من هذه الدوحة الكريمة التي أنبتت رجالاً قادة وحماة وطن وأعطت
لبنان ممثلين للشعب خير تمثيل، كان المغفور له عبد المجيد الزين الذي
تحيي اليوم مدرسة الحكمة وجامعة القدامى فيها ذكراه: ذكرى أحد أبنائها
البررة الذين انطلقوا منها رجالاً عظماء يعتز بهم مؤمنين بوحدة أبنائه،
معبرين عن عزته وعن آماله، الحاملين رسالته والباسطين خريطة بلادهم
خارج حدودها.

كان عبد المجيد الزين قائداً شجاعاً حكيماً.

وكان ممثلاً شعبه بإخلاص وقدرة وبراعة.

وكان الإنسان القدوة في التعاطي مع الناس.

أيها الصديق الغائب

إن أدهى ما يصاب به إنسان في حياته هو غياب صديق.
رحلت عنا وأنت في مرحلة من العمر زاخرة في العطاء. أنني لا
أسأل عن رجل قضى وغاب كم سنة عاش بل أسأل كيف عاش.
إننا نفتقدك في جامعة قدامى الحكمة. نفتقد طلتك بقامتك الفارعة،
بجبيتك العالي، بصوتك الهادئ المحبب، غير أنك باقٍ معنا:

باقٍ بعقلك الحصيف

برأيك المحكم السديد.

بفكرك النير، وصيتك العطر، ووطنيتك المثلى. ولكن...

يعز عليّ حين أدير لحظي أفتش في مكانك لا أراكا.

كلمة القاضي جوزف فريحة

ثم ألقى القاضي جوزف فريحة كلمة قال فيها:

باسم الحكمة، أذكر معكم، وتذكرون معي، رجلاً إنساناً كبيراً، من
رفاقكم ورفاقنا اختاره الله جلّ جلاله إلى جواره من وقت غير بعيد.
عبد المجيد الزين الإنسان، عبد المجيد الزين الرفيق، عبد المجيد الزين
الصديق، عبد المجيد الزين النائب وعبد المجيد الزين السياسي.

في الحكمة، كان عبد المجيد الزين من حكمائها الأبرار، الذين رفعوا
الرأي عالياً، ودعوا إلى التبصر، والنظر إلى الأمور بعمق وواقعية
ومعالجتها بروية وتؤدة، وحصافة واتزان.

الكلام على عبد المجيد الزين، كلام على ضوءٍ انطفأ، وأخلاق

طويت، وأيام لم ينل الزمان منها، وإنسان يبقى كما يبقى اللبنانيون الكبار الذين لا يموتون، بل إنهم فقط لا يرجعون.

كلمة الأستاذ إدمون رزق

ثم ألقى الوزير والنائب السابق إدمون رزق كلمة قال فيها:

(...) لقد أعزني أن دُعيت، في أربعين عبد الكريم، إلى شهادة نسب، فأديتها في حسينية كفر رمان، ثم بعد خمس في أسبوع عبد المجيد، عدت إلى محراب السهل، أفاخر بـ "زين الشباب، عقيد أركانه، رئيس أقرانه، عميد إخوانه، وفارس ميدانه"، حتى أتيت منبري الحكومي، أفي بالعهود وأنجز الوعود، تحية لرفاقي وقومي!

الخاطرة الطاغية على الموقف هي أننا، في غياب الأصلاء، بتنا نفقد الأصالة.

لا وجود لهذا الوطن إن لم يتسع لأبنائه، ويجمع شملهم، ولا بقاء للبنان، إن لم يكن لبنانياً أولاً... لا علاقة لك ممكنة مع الآخر، شقيقاً أم صديقاً ما لم توجد أنت قبلاً. كل مساومة على الجوهر صفقة مدانة، خاسرة ومحطة، فأبي بدل يوازي الشرف؟

لا دور للبنان، ولا شأن، إن لم يكن بلد المآذن والقباب، يضم بكتنا الذراعين، من صلى على محمد رسولاً ونبيّاً، ومن آمن بالمسيح فادياً ومخلصاً! لا قيمة للبنان بين الأمم إن لم يقيم بنفسه، من غير وصاية أو قيمومة! في ذكراه، لن أخون قضيته، لن أهيل على قيمه التراب. فنحن هنا لكي نقول إننا مثله أبناء "الحكمة"، أبناء لبنان الذي شهد يوسف الزين لاستقلاله، شارك في صنعه وتوطيده، وتمسك به آله، وافتداه شعب

الجنوب، وما برحنا ننزف على دروبه، صموداً ومقاومة!
نحن لا نعرف، قبل عزّ لبنان، أحداً، ومن دون نعمته، لان نشهد
لأحد! كل الأمكنة والأزمنة، بالنسبة إلينا، تنطلق من هذه الأرض،
جغرافيتها، تاريخها وشعبها الحرّ!

فاسمحوا لي أن أستعيد، مرة، عبارة معلمنا أغناطيوس مارون، علّم
"الحكمة" الخفاق، وراعي فتوتنا الخلاق:
لبنان لبنان... أولاً، أخيراً وآخرأ.

d'abord, ensuite, et enfin!

إذا كنا لبنانيين حقاً، فلنجهز بذلك معاً، الآن وأبدأ، وإلا فلنكف عن
التماس الأعداء، وتلفيق الاجتهادات، ولنخفِ وجوهنا أمام المجد الآتي!.

الرئيس رشيد الصلح

ثم ألقى الرئيس رشيد الصلح كلمة قال فيها:

نلتقي اليوم في رحاب هذا الصرح العظيم مع جمع من اللبنانيين
لأداء واجبنا وحققنا نحو رجل كبير خدم لبنان وأبناءه وإيفاء هذا الرجل
حقه علينا وعلى الشعب اللبناني كله.

(...) وأرى لزماً عليّ أن أقول إن الرجل الكبير المرحوم عبد
المجيد الزين كان من الرجال المحترمين والمميزين من جميع أبناء
بيروت والجنوب وجسراً من جسور التواصل بينهم حتى انقطعت
الأوصال. وكان ركناً من أركان التودد ضد الانفعالات الصاخبة وكان
يدعم إخواننا بالمقاومة وساندهم حتى حرروا بلادهم من المحتل الإسرائيلي

وأنها أسطورة جيش العدو الذي لا يقهر ولا يغلب.

وكان المرحوم عبد المجيد الزين حين كان الكثيرون يرون في السلطة القوة وفي المال السطوة، وفي الحياة العزة، كان المرحوم عبد المجيد الزين يستمد من حب الشعب له قوته الصادقة ويمارس من خلالها سطوته المحببة. وكان يدرك أن الاتصال بالشعب وتفاعله وتعاونه معه هو الذي يمكث في الأرض وينفع الناس أما الباقي فيذهب جفاء مع الأيام.

المطران بولس مطر

ثم ألقى الرئيس بولس مطر كلمة قال فيها:

أتصور يوسف بك الزين يقصد الحكمة ليسلمها تربية أبنائه الثمانية ومنهم عبد المجيد الزين، وقد شعر بوحدة الحال في التطلعات بين بيت عريق له احتل مكانة في قلب لبنان وانتصب معلم حب ووفاء على أرض الجنوب في كفر رمان، وبين الحكمة القائمة في قلب بيروت، واسطة عقد لكل ضفاف الوطن. لقد أحب الثمانية الحكمة وأحبتهم وأخلصوا لها الودّ وبادلتهم بالإخلاص بالإخلاص. وكم فخرت بهم مع الوطن كله، عندما دخل ثلاثة منهم إلى الندوة النيابية في دورة واحدة عن بيروت وعن الزهراني وعن النبطية. وما زال عبد اللطيف بك يحمل هذا المشعل إلى الآن ممحوضاً ثقة القلوب كلها دون تمييز لأي انتماء لها طائفيّاً كان أم مناطقيّاً أم عقائديّاً. ولقد أثبتت الأحداث أصالة هؤلاء الرجال الذين ما حادوا عن التزاماتهم قيد شعرة بل ظلوا جسر عبور للوطن والمواطنين، وفي ظروف حاول لبعض فيها نفس هذه الجسور وإلغاءها من الوجود.

(...) فهنيئاً لقداى الحكمة تكريمهم لأحد أعلامهم الكبار وشكراً لآل

عبد المجيد

قال فيها:

عبد المجيد

دة، وبحيوية

دأ من فيض

سة، ما يكاد

الانفتاح التي

دراستنا في

إاعة والكتابة

اكز "الحكمة

ات حكمة.

وشكراً للحكمة وجامعة قداماها، والشكر الخاص لرئيس أساقفة بيروت سيادة المطران بولس مطر وليّ الحكمة والعين الساهرة على توجهها ووطنيتها مدرسة الحكمة التي علمتنا أننا في لبنان عائلة إنسانية واحدة، نعبد الإله الواحد في كنيسة وجامع، علمتنا أن نكون ملح الأرض ونور لبنان والعروبة، وصقلت نفوسنا في وطنية واحدة منفتحة لتحقيق في حياتنا الذاتية اللبنانية الغنية بتعدداتها وحضارتها الفريدة الخاصة.

رئيس مدرسة الحكمة ينعى عبد المجيد الزين

نعى رئيس مدرسة الحكمة الرئيس الفخري لجامعة قدامى الحكمة الأستاذ عبد المجيد الزين.

وقال الخوري أبي صالح في نعيه إن مدرسة الحكمة فقدت بوفاة الأستاذ عبد المجيد الزين إنساناً آمناً بمبادئ مدرسته ورسالتها واستمر على تواصل معها من خلال جامعة قدامى الحكمة التي خسرت أحد أعضائها الفاعلين في تنشيط عملها الفكري والاجتماعي لإبقاء التواصل قائماً بين المدرسة وقداماها.

إن الفقيد هو من عائلة أحبّت الحكمة وبرع أبناؤها في أفيائها بكل الميادين التربوية والاجتماعية والرياضية.

وختم الخوري أبي صالح قائلاً: باسم عائلة الحكمة كهنة وأساتذة وقدامى نتقدم من أهل الفقيد بأحر التعازي سائلين المولى أن يسكنه فسيح جناته.

الكلمات التي ألقيت في ذكرى أسبوع

عبد المجيد الزين

كلمة ياسين جابر

أهل العزاء، السادة الحضور،

يشرفني بداية أن أنقل عزاء دولة رئيس مجلس النواب لأسرة الفقيد الغالي الذي كان علماً في الحياة السياسية البرلمانية ورائداً مبادراً عمل دائماً بوحى من قناعاته بالدور الوطني الهام للندوة النيابية، سواء كان بداخلها أو بخارجها، وليس أدل على ذلك سوى آخر أنشطته، حيث كان مؤسساً ومشاركاً فاعلاً ورئيساً لرابطة النواب السابقين.

أيها الأخوة،

في ذكرى رحيل عبد المجيد الزين، تمثل حقبة وينبري تاريخ وتستعاد دلالات. فالرجل لم يسر على درب قويم، بل شقّ أيضاً طريقاً للصلاح، ولم يكرر الأمس المجيد بل ضاع كذلك غداً لهذا المجد. ولم يكن عبد المجيد الزين انحناءاً أمام عاصفة، بل كان جندياً مقاوماً في مستهل شبابه، وسياسياً اقتحامياً وشفافاً في كل حياته.

إنه بلا شك، نتاج عائلة سياسية كريمة مشهود لها ومعروف عنها طول الباع السياسي وصدق النوايا تجاه الوطن ومصالح الشعب. وإذا كان شقيقاً عبد المجيد الزين، انتصبا في ذرى السياسة كرمحين فإن عبد

المجيد الزين كان ثالث هذين الرمحين، وكان إلى ذلك سيفاً أقسم أمام العلم على حماية الوطن والنظام والأمن. على أن حياته العسكرية في مؤسسة قوى الأمن اللبناني، لم تستطع أن تلغي من شخصيته بذور الاحتراف السياسي والكياسة السياسية الموروثة عن بيت خبر السياسة حتى صارت سمة من سماته، وعنواناً مقصوداً في السياسة المحلية وفي القضايا ذات الصلة بالشأن العام والهم الوطني.

إن فتح شبابيك الذاكرة على حياة عبد المجيد الزين يطلق عنان شهية الكلام عن عائلته، وتحديداً عن بيت الزين الذي لا يزال منذ أكثر من قرن، عنواناً معروفاً لا يتوه عنه سائل حاجة ولا تضيق ديوانياته بالناس الذين لهم فيه ما في أهله، والذين اعتادوا أن يقصدوه، فما خاب يوماً ظنهم به ولا ضاق يوماً هذا البيت، بوجه مواطن ولجه.

لم يكن غريباً على عبد المجيد الزين أن يدخل السياسة من أبوابها الواسعة، وأن يمثل العاصمة في برلمان اعتاد على بيت الزين، لدرجة أنهم صاروا جزءاً أصيلاً من معالم الحياة البرلمانية في لبنان. وإن كانت العائلة السياسية هي قصة وراثة نتفق معها أو نختلف، فإن قصة آل الزين نأت عن مقياس العصبية العائلية والوراثة السياسية التقليدية لتأخذ منحى التجديد ومواكبة الخط الوطني، فكانوا مع الثورة لمصلحة الشعب والخط الوطني حينما اندلعت في بيروت، ومع خط الإمام موسى الصدر في الجنوب الذي حمل الرئيس نبيه بري بيارقه ضد رموز التخلف السياسي البائد في هذه المنطقة. إن بيت الزين، بهذا المعنى هو خط بوصلته مصالح الشعب، يصافح القوى الحية الجديدة ويسانداهم ويستهم من أمسه وراثته صلابة ثوابت الوطن وقضايا غايات الناس.

أيها الأعزاء،

لقد عرفت بيروت العاصمة عبد المجيد الزين، كسياسي من أقطابها،
وكنائب عنها، وكجسر يربط بين اهتمامات بيروت الطموحة واحتياجات
الجنوب المحروم والمقاوم. لقد كان نقطة مصالح بين طموح اقتصادي
لمدينة مميزة وطموح وطني لجنوب مقاوم، فيما كان سياسيون آخرون،
يعزفون على نغمة دفع الأحداث باتجاه نقطة التصادم بين الطموحين
الآنفين.

لقد كان عبد المجيد الزين بحق استدراكاً مهماً لقضايا الجنوب في
بيروت، بمثلما كان تعبيراً عن انفتاح مبكر من قبل مناطق الأطراف على
العاصمة، وذلك في زمن كانت تسود فيه سياسات الإنماء غير المتوازي
ومشاريع إهمال الأطراف، ولا سيما الجنوب. والحق يقال أن تجربة عبد
المجيد الزين السياسية في بيروت، ساهمت بالمقدار المناسب في فتح
قنوات التلاقي والاختلاط الاجتماعي والوطني بين العاصمة والجنوب،
وساهمت أيضاً في خلق المساحات الثقافية والسياسية المشتركة بينهما.

أيها الأخوة،

في ذكرى رجل عاش الشأن العام وحمل قضايا الوطن في عقله
وقلبه تبدو المرحلة الراهنة تحتاج إلى نمطه من الرجال الذين ينتج عن
حركتهم السياسية مساحات لقاء وتواصل بين المناطق والطوائف فلبنان،
بتكوينه الداخلي، يحتاج دائماً إلى رجال وحركات سياسية، تمتص
وتحتوي انفعالات الحدود الداخلية القائمة بين خصوصياته لتصبح تفاعلاً
حضارياً وليس تشجناً عصبوياً ولتصبح أيضاً لقاءً وطنياً غنياً وليس
انفعالاً نحو الانعزال.

ويكتسب هذا النوع من المهمات، أهمية خاصة في بلد يظل دائماً تحت مجهر محاولات التوظيف الدولي لخصوصياته على أساس وطني. وبظل اتفاق الطائف، مهما قيل عن نواقصه، بمثابة الفرصة التاريخية التي مكنت لبنان من صياغة مشروعه الوطني على أساس لحمته الداخلية الوطنية وعلى أساس إغلاق الباب وراء مرحلة استباحة الآخرين لخصوصياته للتحويل إلى أوراق توظيف معادية في خدمة مشاريع دولية لا تتسجم مع الموقع الطبيعي العربي للبنان.

إن لبنان، أيها الأعزاء، يمر حالياً في مرحلة إقليمية ودولية يصح تشبيهها بأنها قوس أزमत ملتهب يبشر بأخطار تتهدّد دول المنطقة في وحدتها وتتهدد مصادر الطاقة فيها، بدخول مرحلة جديدة من الاستيلاء وفقدان السيطرة الوطنية والقومية عليها. ولم يكن الموقف الإسرائيلي الأخير، الخاص برفع وتيرة الاعتراض على استغلال لبنان لجزء يسير من مياهه الوطنية في الوزاني سوى مؤشر مبكر عن طبيعة الصراع المقبل الذي ينتظرنا حيث حدود الصراع مع إسرائيل، ليست فقط حول حقوقنا في الأرض، بل أيضاً، وبنفس المستوى، حول حقوقنا بمياهنا وبنفطنا وبكل أشكال مصادر الطاقة الوطنية والقومية.

إن إسرائيل تحاول ترتيب أهدافها الاستراتيجية داخل لائحة الأهداف الأميركية التي تتأمل واشنطن تحقيقها كنتيجة لحربها المستديمة التي أعلنتها بعد أحداث ١١ أيلول. ولعل ما يحصل الآن على هذا الصعيد، هو واحد من أهم الاندفاعات الاستراتيجية الإسرائيلية في تاريخها لجعل أهدافها تتماثل مع الأهداف الأميركية وليصبح الإسرائيلي التابع شركاً لراعيه الأميركي في جني النتائج. وقد كتب مؤخراً أحد الباحثين

الإسرائيليين عن هذا التوجه قائلاً أن المسألة الآن بالنسبة لإسرائيل، هي ليست فقط في هل أنها بعد ١١ أيلول استعادت موقعها في الخمسينيات والستينيات بالنسبة لدور القرار في الغرب، بل هل أن إسرائيل في الحرب الأميركية الحالية، ستكون شريكة في جني ثمارها بحيث يتم تأسيس إسرائيل الثانية التي عجزنا عن تأسيسها بالآلة العسكرية، والمقصود إسرائيل التي لها حضور وراء حدودها في تقاسم المياه والنفط والمرافئ الاقتصادية في المنطقة الإقليمية التي تعيش بين ظهرانيها. قصارى القول الذي يجب التنبيه له أيها الأخوة، هو أن إسرائيل تعتبر أن أحداث ١١ أيلول غيرت نوعية الصراع في المنطقة، وهي تعمل على مراكمة المعطيات التي تفيد هدف جعل الصراع العربي من أجل استعادة حقوقه المغتصبة جزءاً أصيلاً من الإرهاب الموصوف أميركياً.

إنهم في تل أبيب يعرفون أن عام ١١ أيلول يستوجب صياغة استراتيجية عدوان جديد ذات نتائج طموحة، والسؤال ماذا نحن كعرب وكمسلمين فاعلون... وككل مرحلة في تاريخنا المعاصر، أخشى أننا لا نمثلك استراتيجية تدعم حقوقنا غير القابلة للتفريط.

ختاماً، أتقدم بالتعازي من عائلة الفقيد ومن محبيه ومن أهل بلده كفر رمان العريضة، كما أكرر نقل تعازي دولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري بفقيدنا الغالي، فليتغمده الله بواسع رحمته والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

كلمة إدمون رزق

شيم نذكرها عنه

سهل المآذن، والتجويد والتكبير، يزفُّ عليك لواء الحمد ويرفدك آلك وصحبك بالمجد.

جنوب البطولات، والصمود، أرض الشهادة والتحرير، تحيي من محرم عشراً، وتقيم على الأيام ذكراً...

ها نحن، من جناحك الخفاق، شاهق الصخر، دافق الينابيع، وارف الظلال، جزيين المحبة والإباعن جننا نشارك كفر رمان، والنبطية، وعامل، نترحم ونؤاسي، نودّع الفارس الشهم، زين زمانه، عقيد أركانه، عميد إخوانه، رئيس السابقين، وقدوة الآتين من أقرانهم المتألق في المجالس الحاضر في الملمات، المجلي في الحلبات، المجيد أبا الماجد، الحاج العابد، ابن المؤسس المجاهد، أخا الراحلين الأوائل، صنو الرفة والجود، خدين لطيف، حامل الأمانة المجاهد!

يا إخوتنا وبني عمومتنا، لقرابة خمس مضت، في يوم كريم ههنا فاخرت بأني واحد منكم، وإنني في أسبوع مجيد، أراني حدكم، مع حافظ الصداقة والمودات نائب العقود الأربعة من على صدره الأرز قلادة، فالاعتزاز بينهما متبادل، كما العز، كابرأ عن كابر، منكم إليكم متناقل!

أيها الأهل الطيبون

هذا جنوبنا، ولبناننا، واحد في واحد.

لا وطن إلا على أرض حرة، ولا حرية من دون أحرار. الحر وحده

يحرر ويوطد الاستقلال، يبسط السيادة. القيم المطلقة خارج الجدل، لا نسبية ولا استتساب. في الوطن كما في الدين، لا حياء لا تردد ولا رياء... ونقولنّها: على الداخل لا استعداد، وبالخارج لا استقواء ابداً بنفسك ثم بأخيك. محاسبة الأخوة تتم ضمن جدران البيت الواحد، بالاحتكام إلى العهود والمواثيق وكلام الشرف.

الأشقاء، في ما بينهم، مدعوون للتقويم وأخذ العبر، لأن المصير واح، فإما أننا مستحقون لبنان، وكلنا له فداء، وإما أننا غير جديرين بنعمته، فنتسكع على الأبواب تكسباً، ونزحف إلى الأعقاب تزلفاً، نتزيّا بغير ما ننتج، وننباهى بما لا نملك، فوالله إننا، لو اجتمعنا لأقوياء، وإن حزمنا لقادرون، فالإلام التيه خلف سراب، ولدينا جداول تفرق بلا حساب، وههنا الثقلان: العترة والكتاب؟..

لبئس الضلال والتضليل، ونعم الصحوة بعد ليل طويل!

تباً لمزايدات طوائف ومذاهب، وتناحر فئات وأحزاب، على مصالح عابرة، ومناسب زائلة، فيما الوطن يئن، والمواطن مبجوح الصوت، في نداء المسؤول.

أيها الأخوة،

جنوبنا قدسي متعدد المعابد، موحد لا يشرك في الله أحداً، ولا يجحد الوطن أبداً. لا يتعصب ولا يتزمت، فلو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، وما أتمهم عدداً.

جنوبنا أبهى صورة لصيغة حضارية أهلت لبنان لحمل رسالة كونية: أن يدرأ صراع الحضارات بحوار الثقافات، اعترافاً بالآخر وقبولاً له.

لا اكتمال لأي في ذاته، الآخر هو حاجة كل ذات. لا وجود لإنسان يعزل نفسه عن الإنسانية، لا كيان لوطن مختلف مع نفسه منقسم في الجوهر، يتربص بعضه بعضاً، ويتحين الجار للانقضاض على جاره، وسلبه حقه والاستئثار بحكمه!

لن ينهض لبنان من عثراته إلا بوعي أهله وتضامنهم. لبنان الموحد، وحده، يستطيع مواجهة المصاعب التي تعترض عودته إلى حياة كريمة، يتوق إليها شعبه ويستحقها شبابه الباحث عن مستقبل أرضه!

في أسبوع عبد المجيد الزين، حريّ بنا أن نستقرئ حياته، منذ حبا في هذه الدار الموقوفة على صدق الوطنية، وشرف الخدمات العامة، إلى عهده بمدرسة سيدة مشموشة، معهد الحكمة، فالكلية الحربية في حمص، فألى النجوم ترصع كتفيه، والغار يكلل هامته، ضابطاً كبيراً طليع فرسان، نائباً أميناً، رئيس رابطة، وعميد عائلة، زاده خلق وعلم، حرزه غسلام وسلم، دأبه انفتاح وسماح، وطلاة وعنفوان!..

ويا أبا ماجد

هذه شيم نذكرها عنك، يقيناً أنها باقية ذخيرة في الدار، ونذوراً يوفيهها بنون أبرار، وحفدة ملتزمون مبادئ السلف. فأليك دعاء زملائك في الرابطة، وأصدقائك في "لقاء الوثيقة والدستور" وجموع قومك، وعارفيك، الحافظين عهدك، حتى لقاء في يقظة الأبد!

بولس مطر

في وداع ابن الحكمة

ما تعودنا هذه الدار إلا زاهية بحضوره. وستبقى إن شاء الله عامرة بذكراه. ويكمل الأشقاء والأبناء تراثاً وطنياً لها فريداً بصفاته، عزيزاً بعطاءاته، فيرتوي منه لبنان ويبقى بإذن ربه روضاً فواحاً زكياً.

تطل عليك زائراً أو قاصداً، فتعرفها داراً مجيدة، أو تخالها ديراً عتيقاً سكانه مترهبون للناس وكأن الأمر عندهم محسوم بالفطرة وبالإرادة معاً. وتقول بفخر إنها عائلات بلادي، تلك التي جسدت وتجسد روح الوطن بتلاقي أبنائه على الحب وعلى الخير فوق صغائر الأيام وعادياتها. أترانا بذلك نجنح إلى تفضيل حكم النخبة الذي عرف قديماً في التاريخ، وكأننا نتخلى به عن نظام الجماعة؟ لن يجرؤ أحد منا على أن ينحو هذا المنحنى، لأننا مع تكافؤ الفرص ومع المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات. "والخلق كلهم عيال الله" لكن من بينهم من هم أكرهم لأنهم أنفع لعياله. ويصير الكبار كباراً لأنهم صاروا لأخوتهم خادمين.

هكذا هم أهل هذه الدار، كبار على تواضع وهم لا يعرفون تمييزاً بين إنسان وإنسان أو بين طائفة وطائفة. ذلك أنهم سكنوا إنسانيتهم في الأعماق فلامسوا وحدة الطينة التي جبلنا منها جميعاً فشهدوا وتصرفوا على هذا الأساس.

لم يعط لي التعرف إلى يوسف بك الزين صاحب هذه الدار مدى

ردح من القرن الماضي. لكنني أتخيله قاصداً مدرسة الحكمة في بيروت للمطرائية المارونية، وقد رأى فيها دار علم مطابقة في صورتها الوطنية مع صورة داره العامرة، فأودعها كل شبابه ليربوا فيها وكأنهم في بيتهم وهكذا كان. وفي الحكمة التقيت عبد المجيد الزين. ومن التقى به ولم يؤخذ بسحر محبته وغنى روحه وسلامة مقاصده؟ وها هي الحكمة اليوم كما أرض الجنوب تبكيه ابناً باراً، فيما يبكيه الآخرون رجلاً وزعيماً وكبيراً. وكم كان فخر الحكمة بهياً بعودة هذا الابن المميز إلى مسرح أم البنين، يرد لها سخاء بسخاء وينهي نشاطه الاجتماعي نائباً لرئيس خريجيها، ويعتلي منبرها في مناسبة لم يمر عليها سوى بضعة أشهر ليقول فيها: "عشر سنوات قضيناها في رحاب الحكمة. وكنا ثمانية أشقاء. نهلنا منها المعرفة والأخلاق والحكمة، وبعد نصف قرن أقف في رحابها أعتزّ بهويتي وأعتزّ بأن حكمتي ما تزال منبت الرجال وتواصل رسالتها المقدسة...".

رسالة آل الحكمة ورسالة آل الزين هما إذن رسالة واحدة، إنها رسالة لبنان، وطن المسلمين والمسيحيين الموحدين في الهوية والانتماء، والمندرجين في المصير العربي يغنونه بتراثهم ويغتنون، مما حدا عبد المجيد الزين إلى أن يصرف عمر النضال كله خدمة لهذه الرسالة وقد عاونه في حملها أشقاء مخلصون سجلوا سابقة في تاريخ السياسة اللبنانية عندما دخل منهم وفي دورة واحدة ثلاثة إلى الندوة النيابية، وعن بيروت وعن الزهراني وعن النبطية. غير أن النيابة لم تُجر في أعماق شخصيته تحويلاً ولا تبديلاً. فهي للتكليف وليست للتشريف وهو غنيّ بها وغني من دونها، دأبه في كلا الحالين جمع الشمل والحفاظ على وحدة لبنان حيال ما يتهده من أخطار. وقد وقعت فعلاً هذه الأخطار من الداخل ومن الخارج

وهددت مصير الوطن رامية بثقلها على المواطنين الضعفاء. فتصدى لكلا
الخطرين بثبات المؤمن على إيمانه وبالدعوة إلى الرجاء المحيي لئلا تُفقد
الثقة بمستقبل الوطن. وكان له ما أراد في أعماق قلبه لأنه أراد أولاً عودة
لبنان إلى ذاته عبر الوفاق الوطني الصحيح، هذا الوفاق لا يبني على
توازن القوى أو حتى على توازن المصالح، بل على الحب الجامع وحده
والمؤلف بين القلوب. لقد تعلم في بيته كما في الحكمة أن أقوى ما يجمع
بين المسلمين والمسيحيين في وطنهم هذا لبنان هو ميثاق المودة والحب
الذي لا غش فيه.

وقد أراد ثانياً أن يرى بلاده محررة من الاحتلال الإسرائيلي الذي
أحرق القلوب قبل أن يحرق الأرض. فأعطاه ربه أن ينعم برؤية وطنه
مطهراً من دنس هذا الاحتلال بفضل تضحيات الشهداء الذين ردوا للوطن
كرامته وثقته بالقدرة على التقرير في أقدس قضاياها. أما صموده مع أهله
وبين قومه في كفر رمان وفي سائر الجنوب فلقد كان أسطورياً لأنه ما
انفك عن التواصل مع هذه الأرض على الرغم من خطر الموت الذي
كان يخيم في كل لحظة فوق المعابر المشؤومة الذكر وفوق العابرين من
الذات إلى الذات برفعة وكبرياء.

إن بعض التعزية لفقده تكمن في رحيله المطمئن إلى اجتياز وطنه
خطر النار من الضياع إلى الوجود، ومن التشرذم إلى الوحدة. وهو إن
كان يقلب الأنظار في أيامه الأخيرة نحو سماء المنطقة الملبدة بالغيوم
السود، من فلسطين إلى العراق وإلى لبنان بالذات، إلا أنه لم يكن ليتخلى
عن التمسك بالحق ولا عن الثقة بالقدرة الإلهية وبالناس الطيبين من ذوي
الإرادات الصالحة. فعلمه إيمانه أن جولة الحق إلى قيام الساعة، وغادر
هذه الدنيا كما دخل إليها نفساً آمنة مطمئنة.

أيها الحفل الكريم،

لن ينساك محبوبك وهم كل أهل لبنان الذين كنت جسر عبور منهم إليهم. ولقد زرعت في قلوبهم مزيداً من حبات الرضى وهم في مواسم الحصاد، لعلهم يذكرون. فارقد بسلام وانعم في جوار ربك، إنه لمستقبلك وإنه خير الذاكرين، والسلام عليكم.

كلمة ماجد عبد المجيد الزين

حضرة ممثل...

أصحاب المعالي والسعادة

السادة العلماء

أيها الحفل الكريم

لغيري أن يعدد مزايا أبي... وهي - والحمد لله - كثيرة وحميدة. أما أنا... فلا أملك إلا أن أعلن حبي له، فهو والدي وقائدي وقدوتي. لقد كان بالنسبة لي ولعدد من محبيه قدوة ثمينة في الرجولة والقيادة والشجاعة والمواطنة، ونموذجاً فذاً في الارتباط العميق بالوطن والناس، وفي الاندفاع المتفاني في خدمة الوطن والناس.

لقد خسرنا عبد المجيد الزين لا كوالد فحسب، بل كوجه وطني بارز، وكمناضل مخلص مقدم في سبيل الوحدة الوطنية وقيم التسامح الإنساني والديني، وقيم الحوار والعتدال ونبذ العنف، وقيم مشاركة الناس في همومهم والتحرك لمساعدتهم بتواضع وإخلاص.

لذلك... سيستمر عبد المجيد الزين حياً فينا... يحاورنا ويهدي لنا
قيمه وذكراه.

فيا أبي... أيها الراحل الحبيب.

على اسمك نمضي في رحلة العمر... ومن تراثك وزادك نتزوّد بزاد
محبة الناس والتضحية في سبيلهم، والإخلاص في خدمة لبنان والعروبة.
إلى جنان الخلد أيها الوالد الحبيب أيها الفارس الشجاع الذي لم يخش
في الحق لومة لائم

أيها المقدام المندفع في خدمة وطنك ومواطنيك

يا عالي الهمة

يا كبير القلب

يا نصير الضعفاء

يا مواسي المحزونين

وسلام من اللاحقين بك إلى من سبقك من الأجيال.

وها هم محبوبك الكثر... قد غمرونا اليوم... كما كل يوم منذ
رحيلك.. بصادق تعزيتهم... ونبيل عواطفهم... وفيض محبتهم.

فشكراً لهم... من أعماق قلوبنا.

وشكراً لكم أيها السادة فرداً فرداً.

شكراً لفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود على
مواساته لنا، وعلى الوسام الذي منحه لفقيدنا الغالي.

شكراً لدولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري

ولدولة رئيس مجلس الوزراء الأستاذ رفيق الحريري
شكراً لنائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سماحة الشيخ
عبد الأمير قبلان
شكراً إلى معالي الوزراء والسادة النواب والعلماء ورجال الدين
الأفاضل

وإلى أصحاب الدولة والمعالي السابقين والسادة النواب السابقين
شكراً لسعادة السفراء وقادة الجيش والمحافظين والمديرين العامين
شكراً لكل من واسانا بحضوره شخصياً أو برقياً أو بالفاكس
شكراً للخطباء الكرام على كلامهم الطيب
شكراً جزيلاً لكم أيها الحفل الكريم ثم شكراً لأهلنا في كفر رمان
وفي أنحاء الجنوب كافة
حفظكم الله وحماكم من كل مكروه وأطال أعماركم وملاً أيامكم
بالخير، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأوسمة كجزء من دليل قومي

- ✦ وسام الأرز الداخلي من رتبة ضابط.
- ✦ وسام الاستحقاق اللبناني البرونزي.
- ✦ وسام الاستحقاق اللبناني الفضي.
- ✦ وسام الاستحقاق اللبناني الذهبي.
- ✦ وسام فلسطين.
- ✦ وسام العرش من المملكة المغربية من الملك محمد الخامس.
- ✦ وسام الرافدين من الملك فيصل الثاني.
- ✦ وسام العرش الأردني من الملك حسين ملك الأردن.
- ✦ وسام الاستحقاق اللبناني المذهب برتبة كوموندور (عند وفاته).

الفصل الثاني سيرة التاريخ

ملحق

يروى الزعيم والشاعر والمؤرخ الحاج علي بن سليمان الزين في مخطوطته الشهيرة نقلاً عن العلامة المؤرخ الشيخ علي سببتي في كتابه (تاريخ علماء جبل عامل) أن الجد الأكبر لآل الزين هو "زين العابدين المشهور بالزين الأنصاري الخزرجي من المدينة المنورة من سلالة سعد ابن أبي عبادة.

هاجر زين العابدين المعروف بالزين الأنصاري الخزرجي مع أبي القاسم الحسني من المدينة المنورة إلى مصر ومنها إلى سوريا. وكان أحد قادة صلاح الدين الأيوبي في حملته على فلسطين وسوريا عام ١١٧٨م.

مع الأمير أبي القاسم الحسني أمر على ساحل صور "حسام الدين بشارة" ابن شقيقة صلاح الدين الذي تولى إمارة بلاد بشارة. أما زين العابدين فقد ولّاه صلاح الدين على قلعة تبنين بعد احتلالها وإخضاعها لحكمه، وبعد وفاته تعاقب على ولايتها أولاده الشيخ يوسف والشيخ موسى والشيخ خليل بن موسى الزين الذي انتقل إلى بلدة شحور وأقام فيها

وتوفي فيها مخلفاً ولده زين الدين الجدّ الثاني لآل الزين. ولقد خلف زين الدين خمسة ذكور هم: علي، محمد، يحيى، قاسم، حسن.

أما زين العابدين الجدّ المباشر لآل الزين فقد ولد في شحور، شبّ وترعرع في بيت عريق بالتقوى والعلم والاجتهاد في ظلّ والده. وكان شجاعاً مقداماً سطع نجمه وهو في مقتبل العمر. وكان من أبرز قادة جبل عامل ومن ذوي المكانة العالية. أقام علاقة مميزة مع ولاية عكا المتعاقبين وقد ولاه الباب العالي شؤون الحكم في البلاد لقاء دفع ضريبة سنوية. امتدّ نفوذه من صيدا إلى الناقورة في الساحل وإلى شحور وبرعشيت في الجبل.

وكان الشيخ علي الزين بعد معركة مع الجزائر قد غادر الأوطان بعد أن توالى على البلاد أيدي الظالمين والطغاة واصطحب معه أخويه حسن وقاسم. وكانت محطتهم الأولى في العراق فبقي حسن في الحصرة الحيدرية في النجف الأشرف يدرس ويتفقه، ومنها انتقل إلى مدينة العمارة وترك فيها ذرية صالحة، ولا يزال التواصل معها قائماً لغاية اليوم. تابع علي وأخوه قاسم طريقهما إلى بلاد فارس وحلّا ضيفين على سلطان العجم الذي أحسن وفادتهما وأمضيا في ضيافته فترة تمكن خلالها علي من كسب ودّه فأعجب بطلاقة لسانه وأدبه وحسن معشره فقرّبه إليه وعرض عليه الدخول في جيشه فاعتذر بتهذيب، واستأذنه بالسفر على بركة الله. فزوّد السلطان بالمال والرجال والخيول والأعوان، وتوجّه إلى بلاد الهند مع أخيه قاسم إلى أن وصلا إلى مملكة من ممالكها هانت عليهم طرقها ومسالكتها، وتوصلا إلى ملك تلك المملكة، وكان قد سمع بأخبارهم ورايه أمرهم، ولكن الشيخ علي كان ذا هيبة، وجلال ووقار،

طويل القامة، جميل الصورة، حلو الحديث عذب اللسان مما أثر بالملك فأعجب به وأحسن وفادته، فصار لا يفارق مجلسه. ويشاء الله الذي يؤتي الملك من يشاء أن يكون الشيخ علي حاضراً في مجلسه عندما جاء مندوب المملكة المجاورة يطلب من الملك دفع الجزية السنوية التي كان يدين له بها. فأشار عليه جدنا الشيخ علي بعدم دفع الجزية، والاحتكام إلى ميدان القتال، وتعهد له بمساعدته وقيادة المعركة فامتثل النواب ودارت المعركة بين الجيشين واحتدم القتال شرساً إلى أن منّ الله على الشيخ علي بالنصر المبين فبدّد شمل جنود العدو، وحاصر مدينتهم، وفرض عليهم جزية سنوية وتعويضات الحرب. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها توجه الملك ابنته وأنجب منها ولدين وابنة.

بعد سنتين توفي الملك فخلفه الشيخ علي ووزر أخاه قاسم واستمر ملكه عشرين سنة إلى أن دخل الجيش الإنكليزي الهند، واحتل ممالكها، ولكن الشيخ علي تمرّد عليه ورفض الاستسلام بالرغم من العروض المالية المغرية التي قدمها له. واستمر الصراع بينه وبين الإنكليز بين كرّ وفرّ مدة سنتين إلى أن آل الأمر إلى تفريق جنده واحتلال مملكته، فتمكّن من الانسحاب مع أخيه قاسم الذي توفي في طريق العودة إلى شحور مسقط رأسه.

وقد زاره في بلدته شحور سليمان باشا والي عكا، وعبد الله باشا والي صيدا فأكرم وفادتهما واستضافهما ثلاثة أيام، ثم عاود ولّبي دعوتهما إلى عكا، فنزل في قصر البهجة. بعد عودته توفاه الله في شحور سنة ١٨٣٨ مخلفاً أربعة أولاد هم: الحاج سليمان، أحمد، حسن وحسين. فانتقل الحاج سليمان الزين بعد وفاة أبيه من شحور إلى صيدا وعمل في الحقل

التجاري، ولم يمض عليه وقت طويل حتى أصبح من كبار تجارها فاشتهر بالتقوى وفعل الخير فأقام علاقات مميزة مع فؤاد باشا مندوب الصدر الأعظم، ومع الأسر النافذة في جبل عامل، وساهم مساهمة فعالة في بناء مدرسة جباع الدينية التي أسسها ورعاها العلامة الشيخ عبد الله نعمة الجباعي الحبوشي العاملي، وتخرج منها العشرات بل المئات من العلماء المسلمين المشهورين. وكان الحاج سليمان يتحمل كامل نفقاتها السنوية وهو القائل: "إذا لم يكن من مالي ما يرضي ربي فلا خير فيه". (كتاب الأعيان، ص ٣٠٧) وتوفاه الله عام ١٨٧٢م، بعد أن أنجب أربعة أولاد هم: الشيخ حسين الشيخ محمد، الحاج علي، الحاج إسماعيل.

الشيخ حسين بن سليمان بن علي الزين المعروف بالشيخ أبي خليل، كان من العلماء الفضائل، موصوفاً بالزهد والتقوى، وهو من تلامذة العلامة الإمام الشيخ عبد الله نعمة في مدرسة جباع الدينية، وقد سكن في هذه البلدة مدة طويلة، انتقل بعدها إلى بلدة جبشيت وأقام فيها. وكان كثير السفر والانتقال وقد توفاه الله في العراق ودفن في النجف الأشرف عام ١٨٨٤ وأعقب ولدين:

- الشيخ خليل وهو عالم، درس الفقه والشريعة على يد الشيخ موسى شرارة العاملي، وكانت له مكانة عالية في التقى والصلاح.
- الشيخ عبد الكريم الزين وهو من كبار علماء جبل عامل، مشهور بورعه وتقاه، درس الفقه واللغة في النجف الأشرف مدة عشرين عاماً، وعاد إلى لبنان عام ١٩١٠ وأقام في جبشيت وكان إمامها وأقام علاقة طيبة مع الزعماء والعلماء الذين عاصروهم، وكانت له مكانة مرموقة. وعام ١٩١٥ سيق إلى الديوان العرفي في عاليه بتهمة تأليف

جمعية والتعامل مع الشهيد عبد الكريم الخليل. توفي في جبشيت عام ١٩٤١م.

• أما الشيخ خليل فقد برز من أولاده الخمسة:

محمد خليل: وهو من أعلام أسرة آل الزين درس في النجف الأشرف وتخرج منها. أقام في بيروت وأسس فيها جمعية الهداية والإرشاد العلمية - مركزها بيروت - التي أسهمت في المطالبة بإنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى؟ من إنجازاته العمل على تقريب وجهات النظر بين المذهبين الجعفري والسني. وقيامه بزيارة الأزهر مع مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد. وقد أدت هذه الزيارة إلى إقرار تدريس المذهب الجعفري في الأزهر الشريف. من مؤلفاته: "تاريخ الفرق الإسلامية"، "الأصول والفروع الإسلامية". خلف نخبة من الأطباء والمهندسين وكبار الموظفين وهم: الدكتور نزار، الدكتور سعد، الدكتور عبد الله والمهندس خليل.

أما الشيخ عبد الكريم الزين فله ثلاثة أولاد ذكور - هم:

• الشيخ محمد حسين بن الشيخ عبد الكريم بن الشيخ حسين الزين المعروف بأبي خليل: ولد في جبشيت وأرسله والده إلى النجف الأشرف وتخرج منها عالماً مشهوداً له بعلم الفقه والشريعة والأدب. شاعر مرموق، عيّن بعد عودته من النجف الأشرف قاضي شرع في مرجعيون. وبعد وفاة ابن عمه الشيخ محمد رضا الزين الذي كان يشغل منصب قاضي شرع في النبطية انتدب لإملاء هذا المركز. من مؤلفاته: "الشريعة في التاريخ"، "الخلفاء الراشدون"، ومجموعة قصائد ودراسات إسلامية.

بد الأمير، هاني، المحامي أحمد، الشيخ عبد
كاظم الزين، زهير وسهيل. كانت وفاته في

خ عبد الكريم بن الشيخ حسين الزين: ولد في
١٩٠٤م. تخرج من جامعتها وعاد إلى لبنان في
جبشيت وكانت دارته محجة الأدباء والعلماء
ديد من المؤلفات أبرزها: "فصول من تاريخ
ل أمالي الوحدة"، "أوراق أديب"، "البحث عن
في العهود الإقطاعية". توفي سنة ١٩٨٤م،
لو الدكتور حسن الكاتب والمؤرخ والمؤلف،
لبنان.

نهر المرحوم يوسف بك الزين، رجل النفس
ن كريم ومحمد.

شقيق الشيخ أبو خليل. هو عالم فاضل، ذو
نابها. ومن مؤلفاته: "شرح النظام"، و"رسائل
لبنان ١٣١٧م، وترك خمسة ذكور هم: العلامة
رضا الزين الذي تخرج من جامعة النجف
القضاء الشرعي الجنوبي في النبطية، وكان
خلف ثلاثة أولاد هم: محمد جواد، إبراهيم،
نراً للتربية الوطنية والفنون الجميلة في عهد
بد كرامي عام ١٩٦٦.

زين ولد في صيدا سنة ١٨٦٠. تلقى علومه

في مدرسة الرشيدية. حفظ القرآن ونظم الشعر. انتقل إلى بلدة شحور وأقام فيها وتولى إدارة أملاك والده الشاسعة في شحور وبشتات وصريفا وتمكن بفضل علمه وتقاه أن يصبح الزعيم من غير منازع في المنطقة وكان يقال له "عالم الزعماء وزعيم العلماء". توفي ودفن في شحور سنة ١٩٣١ م خلفاً لأربعة ذكور هم: الشيخ أحمد عارف، والشيخ لبيب والحاج عاطف وعبد الأعلى. وقد برز منهم الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وتاريخه حافل بالأحداث والمواقف وسوف نتوقف عند المحطات الرئيسية من حياته.

• ولد الشيخ أحمد عارف الزين سنة ١٨٨٣ في قرية شحور. والده كما سبق وذكرنا الحاج علي الزين، والدته الحاجة شاهزنان عسيران ابنة الحاج حسن عسيران. تلقى علومه في المدرسة الرشيدية في صيدا وفي المدرسة الدينية في النبطية. درس فيها النحو والصرف والمنطق والبيان. وتلقى على يد بعض الأساتذة اللغات الفرنسية والتركية والفارسية. بدأ حياته الصحفية في سن مبكرة فكان يرسل الصحف العثمانية الشهيرة منها: "حديقة الأخبار" و"الاتحاد العثماني".

في عام ١٩٠٩ أصدر العدد الأول من مجلة العرفان في صيدا، وهي أول مجلة عربية، أدبية سياسية تصدر في لبنان، ولا تزال تصدر حتى يومنا هذا. وأصبحت عن حق المرجع الرئيسي للدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات العالمية.

في عام ١٩١٠ أسس مطبعة العرفان في صيدا.

في عام ١٩١١ أصدر العدد الأول من جريدة "جبل عامل" واستمرت حتى عام ١٩١٢ حين صادرتها السلطة العثمانية وأقفلتها وأحالت

رئيس تحريرها الشيخ أحمد عارف الزين على المجلس العرفي في بيروت وحكمت عليه بالسجن لمدة شهر ونصف.

في عام ١٩١٥ سيق إلى الديوان العرفي في عاليه بتهمة تأليف جمعية "فتاة العروبة" مع الشهيد عبد الكريم الخليل.

في عام ١٩٢٨ شارك في المؤتمر السوري الذي عقد في دمشق وانتخب سكرتيراً للمؤتمر وبعد عودته اعتقلته السلطات الفرنسية لمدة عشرة أيام.

في آذار عام ١٩٣٦ حضر مؤتمر الساحل المشهور الذي عقد في منزل سليم علي سلام في بيروت ضد الانتداب الفرنسي مع الزعيم الراحل رياض بك الصلح ونخبة من القادة السياسيين والوطنيين الأحرار. وفي تموز عام ١٩٣٦ حكمت عليه المحكمة المختلطة في بيروت بالسجن مدة شهرين مع وقف التنفيذ لإلقاءه خطاباً ضد السلطات الفرنسية وضد بيتشكوف "المستشار الفرنسي في صيدا" بالذات. وفي نفس الشهر انطلقت في صيدا تظاهرات صاخبة احتجاجاً على سياسة الإرهاب التي تنتهجها سلطات الانتداب الفرنسي ضد الوطنيين قادها الشيخ أحمد عارف الزين مع معروف سعد واصطدمت بالقوى الأمنية وأصيب معروف سعد بجراح واستشهد بعض المواطنين وأوقف وحكم عليه بالسجن لمدة شهرين.

وفي ١٤ تشرين الأول عام ١٩١٥ جرى في صيدا احتفال بمهرجان اليوبيل الذهبي لمرور خمسين سنة على العمل الصحفي للشيخ أحمد عارف الزين برعاية رئيس الجمهورية اللبنانية ممثلاً بوزير الأنباء السيد محمد صفي الدين.

وفي ١٢ تشرين الأول عام ١٩٦٠ توفي في مدينة مشهد في محراب الإمام الرضا عليه السلام، بينما كان يؤدي صلاة الفجر، ودفن هناك. يمكننا أن نلخص حياة الشيخ أحمد عارف الزين بعبارة واحدة "جهاد مقدس في سبيل الوحدة العربية"، ومن آثار هذا الجهاد: اعتقالات متلاحقة لمواقفه الوطنية ضد السلطات العثمانية والانتداب الفرنسي كافته الدخول إلى الشجن. وإلى إقفال جريدته ومجلته عدة مرات.

وبعد وفاته أقيمت له عدة مهرجانات تأبين في صيدا، في قاعة الأونيسكو في بيروت، وفي الكلية الجعفرية في صيدا والكلية العاملة في بيروت.

من عقبه: المرحومان أديب ونزار، والقاضي الكبير الأستاذ زيد الزين.

ومن الرجال الذين قضوا وتركوا ذكراً عطراً في تاريخ العائلة، نذكر:

- الحاج حسن الزين الملقب بأبي طالب، تولى حكومة مقاطعات صور من عام ١٨١٣ إلى عام ١٨٤٠ أثناء حكم إبراهيم باشا المصري.
- الحاج قاسم الزين من شحور الذي قاد الثورة ضد حمد بك في جبل عامل حاكم بلاد بشارة آنذاك لجوره وتعسفه. كما اشترك في حرب الجزائر، وتوفاه الله في رحلة العودة من الهند إلى لبنان مع شقيقه الشيخ علي الزين.
- الحاج علي الزين من شقراء وكان ذا مكانة عالية ومقام رفيع وله باع طويل في عمل الخير.

- الشيخ علي الزين من قليا، من وجهاء قليا في البقاع الغربي. هاجر والده من شحور إلى قليا. أقام فيها ومن أولاده القاضي الكبير الأستاذ حسين الزين الذي تنقل من قاضٍ منفرد في مرجعيون إلى عدة مناصب في قصر العدل حتى أصبح عضو مجلس القضاء الأعلى.
- الحاج خليل الزين من وجهاء آل الزين في قبريخا. تولى رئاسة البلدية خمساً وثلاثين سنة، وبنى مسجداً ونادياً حسينياً في هذه البلدة.
- الحاج كامل الزين من حارة صيدا الذي استشهد سنة ١٩٦٨ على يد أنصار آل عسيران في المؤامرة التي دبرتها الشعبة الثانية آنذاك للنيل من عبد الكريم الزين وإبعاده عن النيابة في المعركة الانتخابية التي جرت في ذلك العام.
- عزت يوسف الزين وقد توفاه الله في عز شبابه وعطائه. هو أول قنصل عام للدولة اللبنانية في عمان وأول سفير لها في غانا (١٩٤٤ - ١٩٥١).
- الشاعر محمد محمود الزين، ابن شحور، ملأ قصائده العالم العربي وهو أمير العتابا بالإضافة إلى علاقاته المميزة مع الزعماء في بلده لبنان والدول العربية.

يوسف بك الزين و إني يمينه يجلس المقفور له عبد المجيد الزين



الزكيم و حكرمة مو الفح و الوار



عيد المجيد الزين ، ووفاء شاهين : حقد زواج لم يملك أبدا



في السلك العسكري



وطن: فارس وحارس مرمی

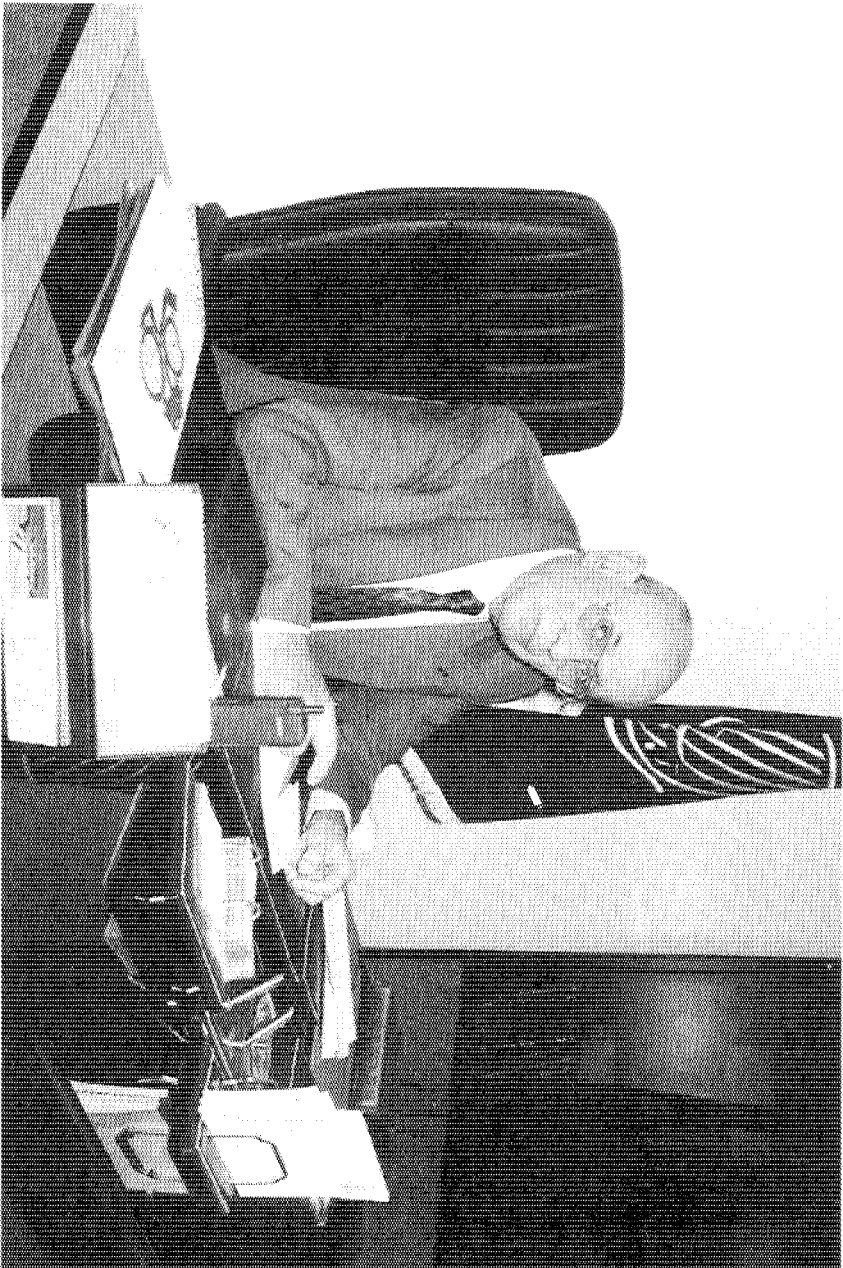


من الجماهير إلى الندوة النيابية



من الندوة النيابية إلى الجماهير

عميد الرابطة، في دوام يومي للجامعة



أسرة العقيد في ملاذ الألب الكبير

